المصاهرات بين افريقية والعراق

بقلم حسن حسني عبد الوهاب

زخرت القيروان – في مستهل القرن الثاني للهجرة – بالسكّان، ولم تكن رقعتها تضم أهلها الاصلاء وحدهم، وإنما تفسح صدرها للواردين عليها من مختلف الأمصار الإسلامية، فكانت بيئتها الاجتماعية تحتوي على عناصر أشتات من عرب وأفارقة وبربر وروم، وقد أشار إلى ذلك الرحالة "اليعقوبي" حيث يقول: (1)

"وفي مدينة (القيروان) أخلاط من قريش ومن سائر بطون العرب، من مضر وربيعة وقحطان، وبها أصناف من عجم البلاد البربر والروم وأشباه ذلك.."

ومن بين قطان القيروان: الاجناد وأبناء الاجناد الوافدون من شمال جزيرة العرب، ومن اليمن والشام ومصر، وكذلك الولاة والأعوان الذين تبعث بهم الخلافة الأموية لكي يسند إليهم الولاة مرافق إدارة البلاد وكذلك أهل التجارة الذين يزاولون عرض بضائعهم المجلوبة من أطراف المشرق والمغرب.

وفي من ضمّت القيروان طائفة أخرى غير هؤلاء وهؤلاء، طائفة العلية والسراة من أهل البيوتات العربية العريقة الانساب، ساقتهم مطامحهم السياسية إلى افريقية، لكي يكونوا بمنأى عن مقر الخلافة، وبمنجاة من سلطان بني أمية، أو كانت هجرتهم لغير ذلك السبب من الدواعي والمرغبات فوجدت الجالية العربية الفتية في مقدمهم تعزيزا لها وتقوية على الايام...

فمن أعيان الوافدين: (منصور بن عبد الله بن يزيد الحميري) من ذرية "ذي رعين" أحد ملوك اليمن قبل الإسلام.

طرأ منصور على القيروان نحو سنة 110هـ. واتخذها له وطنا، وابتنى بها دارا حسنة في الحي المنسوب إلى "بني نافذ غير بعيد من المسجد الجامع،

(1) كتاب "البلدان" لليعقوبي – وقد زار المغرب في حدود سنة 285هـ طبع بغداد ص 106.

وقد صاهره البشير بن خالد صاحب الشرطة بإفريقية إذ تزوج أخته، فزاد ذلك من مكانته في الجالية العربية.

قال ابن الأبار (2) — ناقلا عن ابن الوكيل القيرواني — "كان منصور شريفا في قومه، معروف المكانة فيهم، مذكورا بالبلاغة والشعر وكرم الأخلاق.

وبعد حين من مقدمه، ورد عليه شاب قرشي من البصرة، يعرف آل بيته في المشرق، وهو : أبو جعفر عبد الله العباسي، فأكرم منصور مثواه وأنزله على الرحب والسعة.

ويجمل بنا هنا أن نسوق نبذة من خبر أبي جعفر وما كان له من الصلة الوثيقة بإفريقية التونسية قبل أن يلي الخلافة وبعد أن وليها، وهو : عبد الله بن محمد ابن علي ابن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب وأمه "سلامة" بنت بشير، جارية بربرية من قبيلة نفزة التونسية، تزوجها أبوه محمد فولدت له أبا جعفر سنة خمس وتسعين للهجرة بمدينة البصرة، فنشأ بها، وقرأ على أعلامها، ومن رفقته في مدارسة العلم، زمن الصغر : عبد الرحمن بن زياد بن انعم الافريقي (3).

حكى عبد الرحمن عن نفسه، قال :

—"كنت أطلب العلم مع أبي جعفر المنصور، قبل أن يلي الخلافة، فادخلني يوما منزله في (الكوفة)، فقدم طعاما ومريقة من حبوب ليس فيها لحم، ثم قدم زبيبا، وقال : يا جارية! عندك حلوى قالت : لا، قال : ولا تمر؟ قالت : ولاتمر. فاستلقى أبو جعفر ثم قرأ هذه الآية : (عسى ربكم أن يهلك عدوكم، ويستخلفكم في الأرض، فينظر كيف تعملون).

ولما كبر أبو جعفر وترعرع، اقتفى خطا أخويه الكبيرين ابراهيم المعروف بالإمام، وأبي العبّاس الذي اشتهر فيما بعد بالسفاح، فجرى مجراهما في دعوى استحقاق الخلافة، فأذكت الدولة الأموية العيون عليه، وأوعزت إلى العمال والأعوان أن يتتبعوه، وأن يتعرفوا ما يكون منه

---

(2) كتاب الحلة السيراء : ص 351

(3) راجع ترجمته في "خلاصة" تاريخ تونس ص 59

وأن يقبضوا عليه إذا لزم الأمر، فكان هو وأهل بيته يتخوفون ما استطاعوا، ويسرون دعوتهم بكل سبيل، ويلوذ منهم لائذون بالبقاع القاصية، مثل خراسان ببلاد فارس وصنعاء باليمن.

وما عتم أبو جعفر أن توخى إفريقية لما بينه وبينها من رحم واشجة فان ابن عمه حفيد عبيد الله بن عبيد الله بن العباس كان قد طرأ على القيروان وتزوج فتاة تسمى "أروى" وتكنى "أم موسى"، وهي ابنة منصور بن يزيد الحميري فاولدها بنتا، ومات نحو سنة عشرين ومائة للهجرة، فبقيت "أروي" في بيت أبيها، وتقلبت بها الأيام، حتى كان مقدم أبي جعفر يستلحق ابنة ابن عمه في ظاهر الامر، على حين ان حقيقة الغرض من مقدمه هي التماسه سبيل النجاء من طلب بني أمية له.حل أبو جعفر ضيفا عزيزا على منصور بن يزيد الحميري، وفي أثناء مقامه عنده، شهد من وسامة "أم موسى" ما بهر بصره وخلب لبه، فخطبها إلى أبيها، وتزوجها، وتعلق بها أكبر التعلق طول حياته، وقد اشترط لها أبوها في عقد زواجها ألا يتزوج أبو جعفر غيرها وألا يتخذ السراري معها، فإن تسرى عليها كان طلاقها بيدها ،كما جرت بذلك عادة أهل القيروان من عهد قديم حتى سميت تلك الطريقة بالصداق القيرواني(4).

مكث أبو جعفر في كنف منصور بن يزيد الحميري والد زوجه "أروى" حتى كتب الخليفة هشام بن عبد الملك إلى عامله على إفريقية يطلب منه القبض على أبي جعفر، فلما أحس الخبر اضطر ان يستخفي في بيت ختنه بشير بن خالد، وهو قصر يقوم في وسط ضيعة خارج القيروان على طريق سوسة ،وربما كان في موضع الخزازية الآن.

وبعد حين أزمع أبو جعفر عودا إلى المشرق، ليلتحق باخوته وآل بيته، وكانت أنباء دعوتهم تتناهى إليه في القيروان، فانحدر بزوجه أروى مختفيا إلى الكوفة، وظل يتردد على منازل الاشياع من الهاشميين في سر، حتى ظفرت الدعوة العباسية بمناصرة أبي مسلم الخرساني، وسقطت دولة بني أمية، وآلت الخلافة إلى عبد الله السفاح سنة 132 هـ. وكان الأخ الأكبر لأبي جعفر، فلما مات أسندت إليه الخلافة سنة 136 هـ.، وفي بادئة أمره أنشأ مدينة بغداد التي سميت أول ما سميت :

---

(4) راجع ما كتبناه في هذا المعنى في كتابنا "شهيرات التونسيات" ص 15 من طبع تونس.

مدينة المنصور، وابتنى لنفسه قصرا سماه "قصر الخلد" وأسكن فيه زوجه وبنيه وذويه.

وقد وفى المنصور لزوجه أم موسى ما كان عاهدها عليه في عقدة الزواج، فلم يتخذ له زوجا سواها، ولم تكن له سراري معها طول حياتها، وقد ولد له منها جعفر أكبر أولاده، ومات في حياة أبيه، وهو والد "الزبيدة" التي تزوجها هارون الرشيد فيما بعد، وابن ثان هو "محمد المهدي" الذي صارت إليه الخلافة.

ولم تزل "أروى" «أم موسى» في المحل الارفع من قلب زوجها ومن اجلاله وتكريمه، يرعى أولادها، ويحتفي بأهل بيتها، حتى توفيت سنة 146 هـ. بعد عشر سنين من ولايته إمارة المؤمنين.

حزن المنصور على زوجه الحميرية الافريقية حزناً أليماً، اذ كان يحمد لها ما تمتاز به من جليل الخصال، ويذكر لها مشاركتها اياه في الباساء والنعماء ويفاخر بأنها سلالة ملوك اليمن من حمير، ذروة مجد العرب الأثيل.

ومن أثار "أروى" التي خلدت لها ذكرا دائما وحسنة باقية على الدهر ما رواه الجاحظ (5) نقلا عن معاصره علي بن محمد بن سليمان قال : أبي يقول : كان المنصور اشترط (لأم موسى الحميرية) أن لا يتزوج عليها ولا يتسرى، وكتبت عليه بذلك كتابا أكدته وأشهدت عليه بذلك، فبقي المنصور على عهده حتى ماتت ببغداد، فأتته وفاتها وهو بحلوان... وكان المنصور أقطع أم موسى الضيعة المسماة "بالرحمة" فأوقفتها قبل موتها على المولدات الاناث دون الذكور، فهي وقف عليهن إلى هذا الوقت (حدود سنة 250 هـ).

وقصدت أم موسى بالمولدات الأميرات من بني العباس اللواتي لم يتزوجن أو اللواتي مات عليهن بعولتهن وتركهن أرامل، وفي غالب الوقت لم يكن للخلفاء المتولين عناية كافية بشؤونهن والقيام بنفقاتهن بالرغم من منزلتهن الرفيعة، فيجدن حينئذ في ريع ما أوقفته جدتهن المحسنة ما يصون عفافهن ويحفظ كرامتهن ويغنيهن عن الالتجاء إلى الأمراء وغيرهم والالحاف بالسؤال فيما يعوزهن من الضروريات.

---

(5) راجع كتاب "المحاسن والاضداد" للجاحظ ط. مصر 1331 ص 117.

وبهذا العمل الإنساني كانت "أروى" من أول نساء الاسلام تفكيرا في حالة العوانس والارامل اللاتي عضهن الدهر بنابه وفي تخفيف وطأة النوائب عليهن ونيل الأحداث منهن رحمها الله تعالى

وقد عرفت أم موسى فيما بعد بأنها "أم الخلائف"، إذ أن خلفاء بني العباس - من بعد المنصور - كانوا من ذويتها الماجدة، نازعين إلى تلك الاعراق البالغة من النبالة أقصى المبالغ.

ومن قول الشاعر الكبير سالم بن عمرو المعروف بالخاسر في مدح الخليفة المهدي . (6)

اكرم بقوم أمين الله والده
وأمه أم موسى بنت منصور

ومن قول الشاعر المعروف أبي نواس في الخليفة محمد الأمين بن الرشيد وزبيدة :

وما مثل منصوريك منصور هاشم
ومنصور قحطان إذا عد مفخر

فمن ذا الذي يرمي بسهميك في الورى
وعبد مناف والداك وحمير

ومن قول أبي نواس أيضا : (7)

فجداك هذا خير قحطان واحدا
وهذا ما عد خير نزار

يعني بالقحطاني منصور الحميري، وبالنزاري أبا جعفر المنصور

ونقتصر على هذه الأبيات في الإشارة إلى رفعة نسب منصور الحميري واتصاله ببني العباس، والمأثور من أمثالها كثير لا يتسع لا يراده المقام.

عاش أبوجعفر المنصور بعد وفاة زوجه، في عزه وصوله، حتى توفى سنة 158 هـ، وهو في طريقه إلى الحج، ودفن في مكة، وخلفه على الامر ابنه الاكبر محمد المهدي .

---

(6) مروج الذهب للمسعودي ج 2
(7) الحلة السيراء ص 353

وقد اجتمعت كلمة المؤرخين على أنه لم يكن في خلفاء بني العباس أعلم من أبي جعفر المنصور وحفيده عبد الله المأمون، ودونهما في المعرفة هارون الرشيد والواثق بالله والمنصور معدود في الملوك الشعراء.

وقد أورد له الإخباريون وصيته الخالدة إلى ابنه وخليفته المهدي(8)، ومن قوله في بعض مواقفه الحربية، وقد التفّت عليه جموع من الأعداء:

وجعلت نفسي للرماح دريئة
إن الرئيس لمثل ذاك فعول

وقوله، مجيبا من نصح له بالاناة في أمر أبي مسلم الخراساني:

إذا كنت ذا رأي فكن ذا عزيمة
فان فساد الرأي ان تترددا
ولا تهمل الاعداء يوما بقدرة
وبادرهم أن يملكوا مثلها غدا

وقوله أيضا:

تقسمني أمران لم أفتحهما
بحزم ولم تعرك قواي الكراكر
وما ساور الأحشاء مثل دفينة
من الهم ردتها عليك المصادر
وقد علمت أبناء عدنان أنني
لدى ما عرا مقدامة متجاسر

وله في غير ذلك من الشعر الحماسي، نظمه أثناء ولايته وقبل أن يتولى.

عني المنصور عناية خاصة بالبلاد الإفريقية وبأهلها منذ قبض على زمام الخلافة إذ كان يعلم من حقيقة أمرها ما بصره به العيان، فقد سكنها وأقام بها زمنا، وعرف خباياها، وخبر رجالها، فلا غرو إذن أن يصطفى لإمارتها كبار قواد دولته، مثل محمد بن الأشعث الخزاعي والأغلب بن سالم التميمي ويزيد بن حاتم المهلبي وأخيه روح بن حاتم، وما منهم إلا من قاد الجيوش في الفتوح، وتوسد جلائل الأعمال في تلك الدولة الفتية الناهضة.

ويروى عن المنصور أنه كان يسأل من يفد عليه ببغداد من أهل افريقية: كيف حال إحدى القيروانين ؟ يعني بذلك مدينة تونس، إذ أقام بها فترة من الزمن.

(8) الكامل لابن الاثير ـ 6 / 9

والآن وقد قصصنا عليك ماكان من صلة أبي جعفر المنصور بالقيروان قبل الخلافة وبعدها، نلمع إلى ما كان من صلة ذريّة العباس بن عبد المطلب – عمّ النبي صلى الله عليه وسلم – بافريقية التونسية، وما لهم من قدم صدق في فتحها...

شارك عبد الله بن عباس – حبر هذه الأمة – في أول غزوة لافريقية، مع عبد الله بن أبي سرح سنة 27 هـ، وهو الذي قسم الغنائم بين القواد والاجناد في "سبيطلة"

والغزو الثاني لافريقية باشره شقيقا عبد الله بن عباس، وهما معبد وعبد الرحمان سنة 35 هـ مع معاوية بن حديج، وقد استشهدا جميعا رضي الله عنهما، في فتحها، ودفنا في تربتها، وتبرك أديمها باشتماله على رفتهما الطاهر(9). وثلاثتهم أبناء العباس عم الرسول، عليهم صلوات من ربهم ورحمة .

وقد أسلفنا لك من نبإ منصور بن يزيد الحميري انه اتخذ بالقيروان دارا فسيحة لأهل بيته ومواليه، ويبدو أنه كان واسع الثراء، يتخذ الحاشية والاتباع فمن مواليه حفص الذي تولى من بعد خراج افريقية، يدير أموال البلاد، وابتنى لنفسه قصرا اشتهر باسمه (قصر حفص)، وذلك في عاصمة القيروان وقد ورد ذكر هذا القصر كثيرا في تراجم الافارقة.

كان لمنصور الحميري عدة أولاد في القيروان من أشهرهم :
يزيد بن منصور الذي التحق بابن أخته محمد المهدي لما آلت إليه الخلافة سنة 158 هـ، فقربه المهدي منه واستعان به في المهمات، وأسند إليه المناصب، مثل ولاية خراسان، والكوفة، واليمن، وإمارة موسم الحج، وقد لمع اسم يزيد حتى مدحه عليه الشعراء، كأبي نواس، وتوفي يزيد سنة 165 هـ .

ومما يحسن التنبيه إليه في هذا الصدد أن أبا محمد يحى بن المبارك اليزيدي النحوي الطائر الصيت، صاحب أبي عمر بن العلاء وأحد كبار القراء، انما قيل له اليزيدي لأنه كان يؤدب ولد يزيد بن منصور هذا، فنسب إليه، ثم انه أدب بعد ذلك الخليفة المأمون.

---

(9) لنا بحث مطول – في غير هذا – عمن استشهد من الصحابة في التراب التونسي وقد بسطنا فيه من الكلام عن تاريخ أبناء العباس، فليراجع هناك .

ومن غريب الموافقات انه لا تكاد تمر مائة عام على الأحداث التي قدمناها حتى يقدم على افريقية أمير عباسي في بواكير الصبا، من حفدة أم الخلا ئف أروى الحميرية القيروانية وذلك في نحو سنة 270 هـ.

ذلك الشاب هو عبد الوهاب ابن الخليفة المهدي ابن الخليفة الواثق، وقد خرج من بغداد بعد مقتل أبيه بأعوام، فوصل إلى القيروان في مدة الأمير ابراهيم الثاني من "بني الأغلب"، فأحسن الأمير لقاءه، وانزله بجوار قصره "الفتح" في أحد المنتزهات البديعة التي أنشاها في مدينة "رقادة".

ورغب الأمير الشاب في الإصهار إلى الأسرة الأغلبية، فزوجه ابراهيم الثاني ابنة أخيه المتوفى الأمير محمد الثاني الملقب بأبي الغرانيق، وتوالت ولائم العرس أياما وليالي في رقادة، وكان المتولي لعقد الزواج هو القاضي الطائر الصيت عبد الله بن طالب التميمي صنو الاغالبة.

سكن عبد الوهاب وعروسه في قصر لطيف، تحف به حديقة غناء ذات أفنان وزهر وريحان، وولد لهما محمد وحسين فنشأ كلاهما في رعاية عم والدتهما حتى أهلهما بالتربية لشغل المناصب الرفيعة في الدواوين، وبينما كانا في صباهما فارقهما أبوهما عبد الوهاب عائدا إلى العراق وسر من رأى، فظل الأميران الصغيران مع أمهما إلى أن توفاها الله في سنة 285 هـ.

وطرقت افريقية طوارق الحدثان، وتجمعت البوادر المؤذنة بسقوط دولة بني الأغلب التميمية، وقيام الدولة العبيدية الفاطمية مكانها. فاستنكف الأميران العباسيان أن يقيما بافريقية، والتحق أكبرهما أبو اسحاق محمد بالأندلس قاصدا خليفتها عبد الرحمن الناصر، فاحتفى بمقدمه عليه في قرطبة، وأجرى له رزقا واسعا في كل سنة ومات أبو اسحاق محمد في خلال سنة 333 هـ، ولم يعقب.

اما أصغر الأخوين الحسين بن عبد الوهاب، فإنه ما كاد يشهد أفول نجم بني الأغلب حتى رحل إلى جزيرة صقلية وأقام بعاصمتها (بلرم) إلى أن وافاه الأجل المحتوم فدفن هنالك، ولا ندري أأعقب أم لا؟

ومما مر بنا مجملا في هذه العجالة، يتبين لنا أن الجالية العربية النازحة إلى افريقية التونسية خلال القرنين الثاني والثالث، كانت تعد بينها وجوها من أبناء البيوتات المشهورين بفصاحة الألسن، وسعة الآدب ووقور الأحساب، واصالة الأنساب. وفي ذلك بلاغ!

حسن حسني عبد الوهاب

بعد اغتيال « داغ همرشولد »
الامين العام للامم المتحدة

ريح العـــــدم

بقلم : محسن بنحميدة

غدروه فى اعلى القمم
قمم السلام
ما اشنع الزهو المنمق بالكلام
يـا للامـم
يسوقها الصمت البليد الى العدم
مسكينة امى تقول
« لك الحياة عريضة يا ابنى الاشم
« وبحفنتيك تغوص فى المال الجزيل
« ولك الرضى ولك البنون »
لكنهم يا ابتى هل يفهمون
— امى وجل الآخرين —
لكنهم يا ابتى هل يدركون
هل يدركون مثال ابنائى الصغار
اذا طغى الغدر وعم
وسكنت
فركنت
كل الامم
وعبثت
يد الخراب يد البوار
وعصفت
ريح العـدم

محسن بنحميـدة

بنزرت او مصرع النسيان

بـقلم : البشير المجـذوب

وتريد ان تنسى .. ان تتناسى الايام السود وتغسل مرارة فمك وتنفض عنك اشباح الرعب وتعود فتنغمس فى نعيم الوجود .

وتريد ان تنسى انك قد فقدت طعم هذا النعيم يوما ويوما ويوما وانك قد يئست وكفرت بفضيلة الانسان وحقيقة الانسان وجمال الانسان .. الوجود عبث . الوجود فلاة نهيم فيها الى غير غاية . الوجود ! ما الوجود ؟ لكانه زوجتك تلك التى انتهكت حرمتها فاصبحت غريبة عنك غريبة عن نفسها او هو اختك التى عريت من بكارتها فتتجنب وتخشى النظر اليها . انه شىء ابتر . لقد لمسته يد الاثم . من قال من ذا الذى قال ان الانسان خلق للخير والسلام ؟ اى معتوه سخيف ظن السعادة من نصيب هذا الكون !

وتريد ان تنسى ويطيب لك التمويه على نفسك والخداع ولكن هيهات ! انها الحسرة انطبعت فى النفس كأشد ما يلتحم الميسم بالبشرة الدامية .

وتريد ان تنسى فتحس بغبطة خفية اذ تقبل على الطعام بشراهتك المألوفة ويعاودك الحنين الى النساء وقد شاقك ريح المرأة ونكهتها وتهنأ بالظل والنور وتستهويك الطبيعة الفاتنة المسكينة وقد ظلمتها وجفوتها وجحدتها . الغروب ! ما اشهى الوان الغروب ! انها فى مثل حلاوة سنفونية عذبة كئيبة مهيبة .

وتظن ان قد انتظم كل شىء ولزم مكانه وانك قد أستعدت شخصك كما يعثر على الثوب المفقود فعرفته واثبته . وتهم بالحمد ولكن هيهات ! شىء يعض على قلبك قد التصق به لا يريد فكاكا . شىء عشش فى زواياك المظلمة وانت فى غفلة عنه ضيفا ثقيلا تفتقده يوما وتستريح وتطمئن واذا هو ماثل لا يريم .

انها الذكرى العنيد تستفيق فى ارجاء نفسك اللاهية الخاوية وتتململ وتثور وتقف نصب عينيك وفاء وقسوة . كالحمل يرهق كاهلك فتتغافل عنه وتتجاهل وتنفيه عن نفسك نفيا ولكنه بصرامته يقتضيك ان تعايشه وتعاشره وتقيم لــه وزنــا .

قل لي ماذا رأيت ؟ كلا لم تر شيئا ! انها محض اوهام دارت بخلدك خيالات محموم ريع واختلط عليه امره · بلى رأيت كثيرا كثيرا · رأيت فيما رأيت رؤوسا

ولا جثث ، اجسادا بلا رؤوس · أطفالا لا بل هى قطط صغيرة القيت الى الارض بقرت تناثرت أحشاؤها · ثم كأني رأيت اشياء سودا اجساما اثافي سفعا كتلا اشياء طويلة كأنها محرك التنور عبثت به الادخنة ·

رأيت اناسا لعنوا ارضهم التي آوتهم واطعمتهم تنكروا لديارهم وآثروا التيه والعرى والجوع · رأيت جبابرة يحترفون الموت يكيلونه جزافا · قوم من الجن تتفجر من ايديهم الحمم والنيران · معهم هنات منكرة دواب قد سخروها تسخيرا تسور من الفولاذ · افاع مجنحة تتلوى في الفضاء تمزق بلهاثها الديار وتفتت اللحوم · والخوف ! غصة الخوف · خدعة الخوف · عضة الخوف · واشده ان تطعن النفس ويمثل بها تمثيلا · الخوف من ان تلين وتفشل وتخزى امام ندك الانسان

كلا لم تر شيئا ! انها اشياء شبهت لك محض اوهام خيالات محموم ريع واختلط عليه امره · كلا لم تر شيئا !

البشير المجذوب

شعـــــــــــرها

بقلم الدكتور على شلق

شعرك مسكوب الشفق   شلاله العطر اندلق
خيوطه شال الغيوم   والربيع الحلو رق
مجدولة منسولة   من الضحى ، من الغسق
كأنها مغروسة   فى كل نجم مسترق
جذورها من الاعالى   وزعت كما اتفق
تشير هاك منبعى   من البعيد المنطلق
لينة من موجة   ممدودة من الافق
فروعها تسقى السنا   لحصل من العبق
غمسها بصوته   حسون غصن مذ عشق
رف منها ريشه   فرف حلم وانعتق
فى قلبه لهيبه   لم يا ترى الريش احترق ؟
لها الغيوم والنجوم   لها القلوب والحدق
لها السنا لها المدى   والحلم فى جرح الارق
ان جدلت فخصل   من العبير فى نسق
اوارسلت فجدول   يجرى بمسكوب الشفق

على شلق

ادباؤنا وواقعنا الادبي

قديما وحديثا

بقلم : **محمد الهادى العامرى**

اذا نظرنا الى الماضى البعيد فى تاريخنا الادبى فاننا نجد ادبا محدودا فى اهدافه واغراضه وخدماته يعيش ضمن دائرة ضيقة النطاق لا يكاد يتجاوزها فى مديحه ورثائه وهجائه ووصفه احيانا ولم يخرج عن هذه الدائرة فيما علمت فى ادبنا العربى بصفة عامة الا الادب الاندلسى الذى عالج كثيرا من القضايا واثار كثيرا من المواضيع الرائقة الطريفة وكثيرا ما عبر عن التيارات المختلفة وكان لسانها الصادق ولم يتمالك عن القيام بدوره اعظم قيام عند ما هددت الاندلس بالانهيار وتكاثفت فى افقها سحب الاضمحلال . وبالرغم عن ان هذا الادب اتصل بواقع الحياة فاستغاث وطلب النجدة ووصف الحالة الاسيفة التى وصلت اليها بلاد الاندلس واهاب بالشعوب الاسلامية النائمة فى ميادين الجلاد فلم يبادروا بالانقاذ ولم يتسابقوا الى الاسعاف الا على نطاق اضيق من سم الخياط . وقد ظل ادبنا القومى فى هذه الرقعة من الارض صورة تقليدية بحتة للادب العربى ويزيد عنه فى الانحطاط ضعفا فى صيغته وسخافة فى معانيه . وما خلا هذا الادب من تعبير صادق عن الواقعية احيانا فى اساليب متواضعة ومعان سخيفة مضحكة . ولكنها حقيقة اجتماعية على كل حال توجه اليها الادب على علاته واستمد وحيها من اعماق الحياة التونسية انذاك . وبصرف النظر عن اسباب اثارتها فى نفس الاديب الذى مسه الضر وشعر بالطامة الكبرى والقارعة العظمى تنزل بمجتمعه فدافع عن نفسه وعن مجتمعه فى آن واحد فى حالة يائسة حالة حرجة مؤلمة موجعة عبر الناس عليها بكل ما يستطيعون التعبير عنه سواء أكان ذلك باللسان ام باليد واستغاثوا فيها بالحجر والشجر والمدر وسائر الكائنات وبكل ما يتوهم فيه الانتصار شان المظلوم المضطهد وذلكم على عهد الوزير مصطفى خزنة دار بتونس حتى استنجد بعضهم

بالاموات وانبرى الادب التونسى يستغيث بالقطب التيجانى (I) .... فعبر عن واقع اجتماعى ملموس ورفع عقيرته بالشكوى وهذه الروح غير معهودة فى ادبنا القومى وان وجدت فى الادب العربى بقلة : يقول هذا الاديب

كـادت تنبـط رجـاءهـا باليـأس
مهـج فغـوثـا يـا ابـا العبـاس ؟

الى ان يـقــول :

اليـك نبث مـا قـد نـابنــا
مـن مكر ذى شر شديـد البـاس

درب عـلى فـعـل القبـائح قـائـم
بـالجـور نـاء عـن القسطــاس

ومـنـهــا :

نشبت مخـالب كيـده فى قطـرنـا
وبـدت مضـرتـه عـلى اجـنــاس

ومـراده والله يـمـحـو رسـمـه
الحـاقـه بـالاربـع الادراس

خفيـت مـدارك كيـده فـتحـيرت
فى غـورهـا النبهـا مـن الاكيـاس

واستـأصل الامـوال مـن اربـابها
ورمـاهـم بـالـذل والافــلاس

I) قال الاستاذ رشيد رضا فى تفسيره للتنزيل : كان من فساد هذا التصوف الذى بثه الشعرانى وامثاله فى المسلمين ان وجد فى المغرب الاقصى فى القرن I3 هـ شيخ اسمه احمد التيجانى (ويكنى بابى العباس) صارت له طريقة من اشهر الطرق امتدت من المغرب الاقصى الى السودان الفـرنسى والجزائر فتونس فمصر وصار لها مئات الالوف من الاتباع لما فيها من الدعاوى والخـرافـات الخ اهـ

كل تراه وقد امض فؤاده
يشكو القديم وللجديد يقاسى

والحقيقة ان هذا النوع من الادب الواقعى الذى يتصل بالمجتمع ويعبر عن آلامه ويعالج مشاكله او يناضل عنه او يرشده ضئيل·ولاول مرة يسموالتفكير تحت ضغط العوامل المختلفة فنصغى لشاعر آخر تونسى يندفع الى الواقعية ويحبر القصائد الغرر يستنهض فيها همم التونسيين الى الكد والتسابق فى ميادين الرقى وذلكم هو شاعر تونس محمود قبادو الذى خاض غمار الواقعية فى ميادين كثيرة ووقف منوها بالدستور التونسى عهد الامان ومحبذا لاسلوب الحكم بتعاليمه وناعيا على الحكم المطلق مساويه ومشهرا بعيوبه قائلا فى لغة فصيحة وبيان ساحر ومعان رقيقة وبلاغة رائعة ·

العدل عهد خلافة الانسان
ومداد ظل الامن والامان

وتمدن البشر اقتضى ايلافهم
بتعاضد من دائن ومدان

الى ان يقول فى هذه الغالية الفاتنة الجذابة :

والراى كل الراى يقصر دونه
راى اللبيب وفطنة اليقظان

وانه نفع لاهواء الورى
شق الخلاف عصاه بالعصيان

والنفس طامحة لعز رئاسة
طبعا وجامحة عن الاذعان

لله قانون اقام سياسة
مرعية مرصوصة البنيان

دانت له امم تدين بغيره
ان الاصابة والوفاق يدان

ابقى الورى امناً على سكناتهم
لا جور يزعجهم عن الاوطان

وما ابدع قوله : ؟

فلو ان عينا تختشى من نومها
جورا اجار لها على الاجفان

منع التظلم فى المكاسب بينهم
ومسخر الاعلى لذى السلطان

وبعيد حين لم يجف فيه حبر هذا القصيد اذا بقبادو ينسف ما بناه وينقض غزله بيديه وينتكص على عقبيه فيطعن فى نظام الحكم الشورى ويقبحه ويدعو الى الحكم المطلق ويحبذه فيقول متنكباً طريقه السوى

وفى كون امر الناس شورى وخيرهم
امير شروط قد يعز وجودها

وما مجمع الشورى بموح اصابة
اذا كانت النيات شتى ورودها

فلن يستقيم الملك الا لفارد
قد استنجد الاراء وهو عميدها

وكأنى بالقارىء الذى امعن النظر فى الابيات الاخيرة وقف واجما مفكرا فى اسرار هذا التباين بل الاضطراب والتناقض ولكن سرعان ما يذهب عنه الوجوم اذا عرف ان للبيئة الاجتماعية ولاساليب الحكم فيها ودرجاتها من التخلف والرقى اثرا عميقا فى حياة الاديب واساليب ادبه ووسائل انتشاره ٠ وهذا الصنف من الادباء لا يعيشون للادب ولا يخلصون له بل يتخذونه وسيلة للعيش وذريعة للتكسب يخادعون الناس ويزخرفون لهم الاباطيل ٠ وغنى عن البيان ان الادب سلاح ذو حدين

كما قيل منذ القديم :

فى زخرف القول تزيين لباطله
والحق قد يعتريه سوء تعبير

تقول هذا مجاج النحل تمدحه
وان ذممت تقل قيء الزنابير
مدحا وذما وما جاوزت وصفهما
حسن البيان يرى الظلماء كالنور

وادب كهذا لايعدو ان يكون ادبا خلابا خداعا لا ينتفع اى مجتمع به الا فى الناحية البيانية وعشاقها قليلون وهواتها نوادر وما اشبه هذا الادب بادب الدينار فى المقامة الحريرية. لم يستمر هذا التلاعب طويلا ونكبت البلاد بقارعة الاحتلال الفرنسى فنشأ الجيل الاول من الادباء على العزلة والانكماش وقد ادركت شيوخا من شيوخ الادب عمروا طويلا ومارسوا الادب كثيرا وتذوقوا اساليبه وتمرسوا بها ولم يسمح واحد منهم لنفسه بالخروج عن الادب التقليدى من مديح وهجاء ورثاء الا فى القليل النادر اذكر من بينهم الاديب العبقرى والشاعر الحصيف الاستاذ الشيخ ابا الثناء محمود موسى المنستيرى الذى كان يخدم بادبه المديح والرثاء وكان على براعته وبلاغته وسمو ذوقه وذكائه الوقاد لا ينحو فى ادبه وانتاجه منحى المعالج الاجتماعى ولا يفكر فى المعالجة الا بطريق الحديث والمسامرة التى يحضرها الخواص من اصدقائه والقليل النادر من خلانه وكان يعيش بالقرب منه شاعر مفلق خنذيذ ذلكم هو ابو العباس احمد اديب الذى انبثق كوكبه من افق الحجاز وبعد ان خاض لجج العلوم والادب ادت به خاتمة المطاف الى مدينة سوسة عاصمة الساحل التونسى فاتخذها دارا وقرارا وبها توفى وكان هذا الرجل يتمتع بلهجة عربية وشاعرية فياضة تجالس فيه الاديب الذى لا ينضب له معين . ولما ضاقت سبل العيش امامه ورأى ان مدح اللؤماء لا يجديه نفعا وان تقريظ البايات وخلق مناقب ومفاخر لهم لا ينقع له غله ولا يشفى له علة قلب ظهر المجن الى المجتمع واخذ يصليه نار انتقاده اللاذع وهجائه اللافح . ولعل هذا الصنيع فى عزلة الاديب وحقده وانتقاضه ناشىء عن اخطاء المجتمع الذى كان لا يحفل بهؤلاء الرجال ولا يقيم لهم وزنا فانقلبوا كارثة عليه عوض ان يكونوا حداة ركبه وادلاء سبله ونجوم هدايته وخدمة ركابه .

هذا وساخصص بعض البحوث فى هذه للحديث عن هؤلاء الشيوخ الذين من بينهم شيخ الادباء وخاتمة الظرفاء ، سيدى محمد العربى الكبادى رحم الله جميعهم وهكذا ظل ذلك الجيل من الادباء منعزلين الى ان نشا الجيل الثانى بين الهضيمة والمذلة والانتقام فانتفض انتفاضة الحر الكريم اذا أهين وخرج عن

عزلته وجاهر المحتلين بالعدا وتمرس بالتضحية واقدم عليها غير هياب ولا وجل فجاء معظم ادبه واقعيا بل يصح ان يكون عنواناً لادب تفتخر به الامة وتعتز به ومن بين هؤلاء امير الشعراء المرحوم الشاذلى خزنة دار الذى يقول :

الحـر مـن لا يستكـين لمـرهـق
فعليـك خصمـك مـم ويحـك تـتقـى
واصـدع بحـقـك فـى الاباة ولا تـقـل
ان البـلاء مـوكـل بـالمـنطـق
فـالى م تستجـدى وحـقـك بـين
شلـت يـمـين تـمـتـد للمتصـدق
تبـا لمـن الـف الخنـوع لغـاشـم
مـا تلـك الا شيمـة المتملـق
اولى واحـرى ان يـبـيـت على ظـمـاء
مـن طـل مـن مـاء المهانـة يستقـى
فـيـم احتمـالـك والكـوارث جـمـة
ممـن يـراك بـنـظـرة المتفـوق
صـم وعـمـى سـاخـريـن تطـاولا
منـا كـانـا فـى الـورى لـم نخلـق
لا تشكـهـم ان الشكـاة مـذلـة
والى مـراقـى العـز وحدك فـارتـق
مستضعـف مـن بـات يـرقب منـة
مـن اهلـه او مـن عـدو اخـرق ....

كان هذا الادب الحديث فى روحه وهدفه بدءا للمقاومة الادبية للغاصب المحتل وكان عـلاوة على ذلك يحوى الكثير من واقعنا الذى نـريد ان يمعن الادباء فى خدمته ويكثروا من الانتاج فى نواحيه ويضطلعوا بالمسؤولية الكبرى لحمل امانته وسنعلم فيما بعد هل تمادى الادباء على توسيع هذا النطاق وهل حققوا شيئاً من الآمال فى بحوث أخرى باذن الله

نوفمبر

بقلم صالح الخرفي

بايعت من بين الشهور (نفمبرا)   ورفعت منه لصوت شعبي منبرا
شهر المواقف والبطولة : قف بنا   في مسمع الدنيا، وسجل للورى
فلأنت مطلع فجرنا وزناد بر   كان، أثرت كمينه فتفجرا
دوت بمطلعك الخضيب رصاصة   فاهتزت (البيضاء)(1) وانتشت الذرا
وانداح فجرك عن مصب من دم الـ...   أحرار، فانتعش الجديب وأزهرا
خبأت معجزة تمخض ليلك الدا..   جي بها، والأرض في سنة الكرى
يا وثبة الأحرار منا، يا (نفمـ   بر) لم تزل علما لقافلة السرى
قدست فيك النار تلتهم الدجى   فتحيل ظلمته لهيبا أحمرا
قدست فيك الدمع جف بمقلة   أغفت لتكتحل الصباح المسفرا
واللفظة الخرساء يخنقها الصدى،   والجوع، في شفة المطوح في العرا
قدست فيك الموت، مفتخرا بمن   يعلو المقاصل كي يتيه ويفخرا
والصمت في شفة الممزق لحمة   اربا، يناجي ربه مستبشرا
والفقر أغرته المطامع، فانزوى   طفلا، ولوحت المنية فانبرى
والشيب خضب بالدماء، فما احتفى   بالعمر، صوح نبته، أم أزهرا
والطفل يلفظ بالطوى أنفاسه   ثدياه خيطا بالرصاص ومادرى
قدست فيك الشاهقات ثلوجها   وصخورها، وأقمت منها المشعرا

* * *

يا ثورة في (المغرب العربي) وحـ...   دت القلوب، ووثقت فيه العرى
أمست بها (الخضراء) حراء الروا   بي، كل شبر عبأته معسكرا
و(المغرب الأقصى) تطلع زاحفا   في ظل رايتها يسير مظفرا
يا وثبة في (ليبيا) لو عاشها (الـ...   مختار) هلل للجهاد وكبرا
يا صيحة، في شرقنا العربي تحـ   دو العائدين، وتستفز (الأخضرا
يا أخوة الجبل الأشم لكم ندا   ء ردده (الونشريس وجرجرا
جرحان نحن وأنتم في ملتقى الـ   رايات، وحدنا الضماد واصهرا
يا أخوة (الوطن السليب)، لنا غد   سيلوح ملتهب المطالع أحمرا

قسما، ستجمعنا (ليافا) عودة الـ ـغازي ،إذا انبلج الصباح وأسفرا
عيناك يا (يافا) ستجعل عهد اسـ رائيل بين جفونها طيفا سـرى
يا ثورة في (بور سعيد) تجاوبت أصداء غضبتها، تهز الأبحـرا
يا شهر : حثت دار (لقمان) إلى أن تستضيف الطامعين، وتأسـرا
فابعث لها بدجول يخلف جده فنزيلها بالأمس طاب له القـرى
يا موجة غمرت أعالي (النيل)، ثم تيممت (أسوانه) و(الأقصـرا)
يا زأرة عطشى تلقتها ربـى (بردي) ظلالا للعطاش وانهـرا
في (قاسيون) صداك دوى، مذكيا في (الغوطتين) لظى الوغى ومسعرا
يممته ودم الشهيد السحر يغ... ـلى، فالتفت (بميسلون) إلى الـورا
والارز في (لبنان) منتفض الـذرا حنقا. وثلج الراسيات دما جرى
يا موجة في (الرافدين) يثيرهـا إعصار شعبكم أقام ودمـرا
يا وقفة، في (ثالث الحرمين) لـو بعث بها الرسول لحن إلى السـرى
يا موجة في (الأبيض) الدامى تـرا مت في (الخليج) فغادرته مزمجرا
مرت على (قطر) فأذكت فيه نخـ وة باسه واستنصرته فشمـرا
ورست على (البحرين) ضامرة الحشى واللؤلؤ المكنون يفترش الثـرى
تزجى سحابا من دموع اليتم والـ تشريد لاح له (الكويت) فأمطرا
يا خفقة طافت (بقبر المصطفـى) هزت ستائر بيته والمشعرا
لوذى بأسدة (الجزيرة) أنهـا أرض، تعود ليثها أن يـزأرا
يا فجرنا الضاحي : شعاعك فيلق في كل شبر قد أقام وعسكـرا
في (قاعة الأمم) انطلاقك لم يزل يعلو، ورائدهم يولى القهقـرى
شامتك عيني ومضة في أفق (كـو با) شامها طرف الدجى فتطيـرا
حياك طرفي في (جاكرتا) قبضة حكمت على الأغلال أن تتكسـرا
يا آهة الثكلى، سمعت صداك يسـ تعدي الخليقة في (بكين) لتثأرا
يا زفرة مرت على (موسكو) فـذو بت الجليد بنارها، فتبخـرا
يا ثورة حملت إلى (باريس) غضـ بتها، فهزت عالما ومفكرا
يا فجرنا : في الغرب (بيت أبيض) أره السنا (فالبيت) أخطأه السرى
يا وارث (الفيتنام) أترع جامهم فالجام في (فيتنام) لم يك مسكرا
يا شهرنا الدامي : سمعتك زأرة دوت (بإفريقيا) فألهبت الثرى
ورأتك عيني في رحاب البيد عا صفة، تسهد من طغى وتجبرا
خبر قراصنة الفضاء بأننـا في البيد عين لا يراودها الكرى

(1) الجزائر البيضاء
(2) الشهيد عمر المختار ،بطل الحروب الليبية ضد الطليان

البيد سفح للأشم، كلاهما مشدود الأواصر والعرى
يا من على الصحراء سال لعابهم، كم مورد فيها، سلوا هل أصدرا ؟
أقسمت بالرمضاء فيها، بالريا ح الهوج ،تنتعل الجديب المقفرا
بالناقة الوجناء فيها، لم تزل عربية الخطوات ،شامخة الذرا
أقسمت بالحادي، وبالفصحى التي ناجى بها الليل الجميل المقمرا
بالخيمة السوداء، بالليل الأنيـ ـس بنارها ــ ما انفك(طالى القرى)
بالنفط في الصحراء عشقت سواده الد اجي، وعفت به النضار الاصفرا
بالذرة الرعناء، أقعد راجلا، إشعاعها المودي، وأعمى مبصرا
أقسمت بالصحراء مهدا لانبثا ق الوحي نقاها (حراء) وطهرا
سنعيد ذكرى(القادسية) للنهى تهوي (بكسري) وتطيح (بقيصرا)
سنشنها (عمرية) (سعدية) سنثير رملتها قتاما أغبرا
ذكرى سنجعلها، وتبقى عبرة في الخافقين لمن وعى وتذكرا
إن كنتم تجار حرب، ان من أجدادنا من باع فيها واشترى
فرسان حومتها ؟ سلوا صهواتها كم أسرجت (بابن الوليد وعنترا)
ديجول، يا أكذوبة التاريخ في وطني، ويا من للمصير تنكرا
ديجول، (فرنسة الجزائر) غيمها وضبابها في الشاهقات تبخرا
عربية الأنساب، سل تاريخها يا من على التاريخ زوروا فترى
يا روضة الشهداء من أرض الفدا يا أسد معقلها و لا أسد الشرى
يا روضة الشهداء، لولا كعبة هي قبلتي سميتها أم القرى
يا صيحة الأحرار من أرض الجزا ير لم تزل تغزو المدائن والقرى
لولا اختتام الوحي بالهادي، ولو لا روضة فيها أقام معطرا
أقسمت أن (الأطلس) الدامي، يخبـ ـىء للبرية هاديا ومبشرا
وإذا المخاض عنت له ست من الـ.. سنوات، فاحتضن الوليد مكبرا
الله أكبر، جل من خلق الجبا ل وشق فيها من دمانا أنهرا
الله أكبر سوف تبقى حرة عربية، حكم الرصاص وقدرا
الله أكبر، للدما، للنار في كبد السما، الله أكبر للذرا

صالح الخرفي الجزائري

باب العرش

قصّة: بقلم محمد رشاد الحمزاوي

كانت الليلة ليلة القدر فخيل إلي أني سمعت بابي يطرق طرقا فرفعت راسي واستمعت. لكني لم أفز بشيء فعدت إلى نومي شاكا في صحة سمعي. فما كدت أضع راسي على الأرض حتى سمعت همسا تبعته ضربات شديدة على الباب. قمت من فراشي مضطربا وخلصت ظهري من صفحة جريدة أصرت على الإلتصاق به. توجهت إلى الباب ففتحته ونظرت خارجه. فظهر إلي الشارع أسود خاليا لادبيب فيه ولا نور. رفعت راسي إلى القصر المشرف على بيتي الخشبي فبدا لي طامسا نائما. دلكت عيني ثم أصغيت فبلغني ضجيج بعيد فتخيلتها عربة خضار متجول قد بكر ليبلغ سوق الخضر قبل غيره. لعنت الشيطان وهواجسي وعدت إلى فراشي فارتميت على الصحف والتبن متوجعا من آلام جسمي الهزيل المسن. أردت أن أنام لكن النوم هرب عليّ. تقلبت في فراشي وأردت أن أفكر لكني كرهت ذلك لأني كلما فكرت قادني خيالي إلى عالم لايسعدني بتاتا. ولقد فعلت ذلك مرات فكانت النتيجة واحدة قارة: أفوز دائما بنصيب من الآلام يفوق بكثير ما تبقى لي من آمال. ولذلك أردت أن أكون واقعيا عاقلا فقررت أن أكل احلامي فأريح نفسي من هرج الآمال ومرج الآلام.

قربت ركبتي من ذقني ولم أتشجع حتى على مجاملة القط الغريب الذي كان يزورني حينا ويغيب عني أحيانا. تقلبت مرارا وترقبت طويلا فلم أسمع شيئا. فظننت أني استيقظت مبكرا لأني لم أسمع دقات طبل السحور الذي كان يمر بالقرب من بيتي في كل ليلة من ليالي رمضان فأنتبه إليه دون أن أتحرك من فراشي لان رمضان شهر الأثرياء ليس فيه لأ مثالي الا ليلة القدر نحلم فيها ونطمع في رؤية باب العرش لعلنا نفوز بالمال والبنين وحسن الصحة وطول الحياة. استغربت من نفسي لأني اكتفيت بتسجيل مرور ليلة القدر اكتفائي بمرور ليلة عادية وكنت منذ سنوات أحييها مع كل مار ومع كل إنسان وحتى مع الأطفال. فكنت أتطفل عليهم فأشاركهم ألعابهم وأفضل أحيانا إهانتهم على ركودي وذلك لكي أتغلب على وحدتي واحيي في نفسي روح الصبا الكامنة في أحشاء كل فرد منا. فكان الأطفال يرمون مفرقعاتهم بين رجلي وعلى ثيابي فأعاملهم

بالمثل حتى يتغلبوا علي فأهرب منهم إلى بيتي الخشبي لهثا وأنام مبتهجا مغتبطا، آملا مثل جميع المسلمين في إقبال باب العرش علي خطأ لأني اومن ككل انسان ان الخير يأتينا خطأ أو فجأة و لا يكتسب بعرق الجبين ولا بالكفاح والنضال والاتحاد.

طال ترقبي فيئست من مرور طبل السحور لكني لم أيأس من شيء آخر لقد كنت متيقنا أني سأسمع بعد حين صوت عبار الخادم الأسود بالقصر المجاور. فكنت أومن إيماني بوجودي أني سأسمعه يردد:

-«انعم يا سيدي... حاضر يا سيدي... الله يبارك يا للا... في خدمتك يا سيدي... في أمان الله يا سيدي...»

ومن ينكر على ذلك ؟ لقد عودت على الاستماع إلى عبار الأسود منذ ما يقرب من عشرين سنة قضيتها في بيتي الخشبي. فكنت أسمعه في الصباح الباكر عندما احمل حمصي إلى السوق وأسمعه في المساء عندما أعود. فأزعجتني جمله الرتيبة في أيامي الأولى لأن عبارا كان يطلقها فاترة مكلة. لكني تعودت عليها كما يتعود كل إنسان على فقره وذكائه ومركباته ومنزلته فتطغى عليه العوائد وتصبح حقائق ثابتة يستنتج منها مقوماته وأفعاله. فكان مفري منها ان استثمرها فاتخذتها معينا يوقظني كل صباح لا بلغ سوق البلاط مبكرا وادعو الزبائن بصوت فاتر لاشتراء حمصي.

أصابتني حيرة لأن نور الشمس فاجأني دون أن اسمع صوت عبار. ففضلت لحظة ان أشك في الشمس وبروزها عوض أن أشك في احتمال اختفاء صوت عبار. لكني نهضت مرغما لأن النور غمر بيتي. فتحت الباب ونظرت فكان الشارع خاليا قد اكتسحه نور الشمس واستقر فيه. يا غريبة الغرائب ! لان الشمس، حسب تجربتي، تشرق بعد أن يتكلم عبار وان صوته يسمع ولو خلت الشوارع وماتت الدنيا. فلعل سنن الكون قد تحولت ؟ صحيح ان الناس لا يبكرون في رمضان لكن شارعنا لايخلو منهم بتاتا. فما كان مني إلا أن ارتميت على سلة حمصي وتوجهت مسرعا إلى سوق البلاط. مررت بالحجرة الكبيرة الموجودة أمام القصر فلم ار عبارا قابعا عليها كما كان يفعل أحيانا. فظننته غاب لقضاء بعض شؤونه لكن أسياده لا يتركونه يفعل ذلك وحده. فحسبته مريضا لكن ذلك لايمنع أسياده من ندائه. انتفضت انتفاضا عندما بلغت شارع باب الجديد فلعله مات ؟ ولعله كان ذلك الطارق الذي طرق بابي طرقا ؟ فيا

مصيبتي ! ويـا لوعتي! لم انجد محتضرا يقطع الموت أحشـاءه. وتذكرت ان جدّتي وصفت لي مرة موت بعض النـاس. فكـانت تقول أن منهم من يموت سـاكنـا ومنهم من يموت واقفـا ومنهم من يفر من الموت فيركض ويستنجد حتى يدركه الموت في زاويـة من الـزوايـا فيغطه غطـا كمـا يغط العقـاب فريسته .. فتسـاءلت أن كـان ذلك مصير عبـار في هذا الصبـاح. اجتهدت لاتصور الزاويـة التي مـات فيها لكن أمثـالهـا مفقودة بشـارعنـا. لكنه لم يستنجد ولم يخبر أهل القصر عن موته. لكن لم تراني أتمنى له الموت انـه الصيـام. فلقد انهك جسمي وخلط علي الامور حتى أصبحت أتصور مـا لا يـدركه العقل. لقد زارني عبـار منذ يومين فجلس القرفصـاء في زاوية بيتي الشمـالية وظل يستمع إلي كعـادته ويضع أسئلة لاذعة تحيرني. آه! لم يمت عبـار لأني سأراه في المسـاء وسأعـاتبه لأن سكوته جعلني استيقظ متأخرا. بلغت سـوق البلاط فوضعت حمصي وترقبت الزبـائن لكن هواجسي عـادت إلي فتذكرت عبـارا.

لقد كـانت معرفتي به شـاذة غريبة...وأظنه وجدني شـاذا غريبـا بدوره دخل علي في ليلة شتـاء بـاردة وكنت جـالسـا قرب نـار أتلذذ بحرارتهـا وأقرأ نسخة قديمة من جريدة «الزهـرة» . فدفع البـاب دون أن يسلم وجلس القـرفصـاء أمـام النـار دون أن يستأذن ثم حـدق في الجريـدة فظننته يريـد معرفة الحوادث فخـاطبته:

— تحب تقـراهـا ؟ لكنهـا قديمة .

فـحرك رأسـه نـافيـا ثـم أعرض عني ونصب يديه فوق النـار وظل ينظر إلى زاوية البيت الجنوبية كأني لست موجودا وليس البيت بيتي.فـانزعجت من سلوكه وأردت أن أنهره لكنني أمسكت عن ذلك ونظرت له من جنب. فبدا لي طويلا نحيفـاحـافي القدمين يستر جسمه قميص قديم فضفـاض وتحمي راسه خـرقة زرقـاء. حـاولت أن أستنتج سنه لكن دون جدوى. فكلمـا نظرت إلى وجهه ظهر الي طريفـا لطيفـا فيه نور وشبـاب وكلمـا نظرت إلى هيكله بـدا لي هزيلا مسنـا. نظر إلي بغتة وسـال.

— تعـرف تقرأ ؟

— ايـه. عندك حـاجة تحبني نقراهـا ليك ؟

فلم يجبني بسرعة بل سكت دقـائق ثم قـال :

— قلي ، ثمة نـاس سود مثلي أنـا في الدنيـا ؟

فاستغربت من سؤاله فتلعثمت.

– ايه، ايه السود كثيرين في الدنيا.

– وين ؟ وين ؟ قلي ! قلي !

– في افريقيا كثيرين، وفي أمريكا والدنيا كلها.

– وين هي افريقيا ؟ وين الدنيا كلها ؟

– يلزم خريطة كبيرة.

فسكت وشعرت أنه لم يفهم مقصودي فأردت أن أفسر له الأمر فإذا به يقاطعني :

– أنت تعرف تقرأ وعايش في ها الخربه ؟

– اه يا أخي........

ولم أتمكن من الإنتهاء من جملتي لأنه فارقني. فاحترت من تصرفاته وشعرت بفراغ البيت حولي وبوقع سؤاله علي. فوددت لو بقي لأحكي له قصتي وأبرر وجودي بهذا البيت. فاشتهيت أن أقول له أني حفظت القرآن في التاسعة بزاوية نفطة وحفظت المتون من بعد ثم قصدت جامع الزيتونة فكرعت منه العلم حتى تحصلت على الشهادة الأهلية. فشجعني ذلك على البحث عن شغل يليق بمنزلتي لاني كنت متيقنا اذاك ان العلم كله دخل احشائي وان العالم صار بين يدي وإني سأنال الخير بنفسي. فقصدت الادارات لكنها رفضتني لأني أجهل الفرنسية واستنجدت بالشيوخ وأهل الجاه من المسلمين فأنكروني لأني أفاقي ليس لي مال ارشو به فاشتري وظيفتي مثل جميع الناس. فدرت البلد وما فيه وطرقت كل باب فلما خبت قررت أن أرفق بحالي وأجنب نفسي عفوية السؤال فاكتفيت بالعيش مثل غيري. فلم أجد إلا الحمص أبيعه وأعيش منه. تلك نهاية محزنة لكنها حتمية. أردت أن أحكيها له لأسلي نفسي وأبرر منزلتي لكنه رفض وراح دون رجعة فلم أسمع إلا صوته في الليل والصباح الباكر.

عاد إلي بعد أشهر فناولته كأس شاي فرشف رشفتين وأمر الكاس على جبينه ثم حدق في فاستحييت من نظره ورشفت شايي فسمعته يتمتم. خاطبته :

– اتحب حاجة ؟ تشتهي انفسرلك وين هي افريقيا السودا ؟ هي في القبلة على طريق صفاقس ومدنين.

ـ لا، لا، اسكت بالله.
ثم أضاف :
ـ الاسود مثلي عنده الحق في الحرية ؟
ـ طبعا، طبعا يا أخي....
فقاطعني
ـ حر مثلك أنت ؟
فظننته يتهكم علي فتجاهلت ذلك وبادرته :
ـ قال رسول الله لافرق ...
ـ نعرفها نعرفها لكن عندي الحق في كل شيء؟
ـ عندك الحق في الحياة وفي الخير والحرية والسفر والزواج والخدمة والعدل والكفاح ..
وسكت لأني شعرت اني أزوده بما جحدت على نفسي. نظرت إليه فرأيته متعلقا بي. خاطبني
ـ سويدي كلامك حلو لذيذ... قلي عندي الحق حتى في الموت؟
فضحكت منه ثم عاد إلى جدي
ـ لكن اش تعني ؟
ـ معناها عندي الحق في شنق نفسي ؟
ـ لكن الشنق يا سيدي شجاعة ضد الاخلاق والدين والبطولة.
ـ أنت عمرك ما فكرت في شنق نفسك لخلاصها ؟
فكذبت عليه،
ـ لا، عمري ما فكرت . ولكن وين تحب توصل ؟
ـ حبيت نخلص نفسي لكن ما نفعني حتى الشنق، أسيادي ما تركوني. الإنسان ممنوع حتى من شنق نفسه ؟ النفس نفسه ولا دخل للناس فيها.
ـ هذا حق لكن نفسك أنت خارجه من يديك ؟
ـ اه يا سويدي...
فنظرت إليه فلمحت على وجهه غشوة من الحزن أسرع في القضاء عليها. فتالمت من قضائه على خوالج نفسه. لم يتمم حديثه وهرب مني

هروبا. فعلمت أنه خلق في خدمة أهل القصر. فلم يعرف أباً ولا أماً وهو يجهل حتى أصله وحسبه. فلقد عاش في ذلك القصر مع الكبير والصغير. فكان يشتغل من الصباح إلى المساء ولا يفوز الا بقليل من الراحة كان يقضيها قابعا فوق الصخرة الموجودة أمام القصر. أراد أن يتخلص من عنائه فهرب هربتين لكن أسياده أدركوه وأراد أن يشنق نفسه فلم يفلح. كان يتردد علي من حين لآخر ويسألني أسئلة غريبة تزعجني وتغضبني أحيانا لأنه يتجنب التفاصيل ويهجرني كلما سعيت لإدراك مقصوده.

ازداد حنقي عليه لأنه ظلّ يتردّد على ثلاث مرات في الشهر وذلك مدة عشرين سنة شبت فيها وأمسك هو عن الكلام. فكان يجلس القرفصاء ولا ينبس ببنت شفة ولا يتحرك إلا قليلا. فكنت أمده بمأكول أومشروب فيقبله أو يرفضه. ومما زاد في حيرتي أنه كان يحرك رأسه لينفي أو يؤيد أقوالي وأسئلتي. ولقد أصاب ملامح وجهه جمود كدت أجن منه. فكان ينظر دون أن يحرك جفونه فظننته التعب قد أنهك قواه وحسبتها السن التي تكسب الجسم جمودا وسكونا مزعجين. لكنني تذكرت في احدى سهراتنا سؤاله في شنق نفسه فشعرت أني قتلت كل انتفاضة في نفسه اذ أني منعته مثل أسياده من التصرف في أمره. ولم أتجاسر على مصارحته في شأنه لأني كنت أخشى أن يؤول أقوالي ونصائحي تأويلا يجعله يشعر أنى أبيض سيد. فقبلت سكوته وتعودت بزياراته وكنت انتظرها واسعد بها. فمرت علينا حوادث وتقدمت بنا السن ونالت تونس استقلالها ونحن على حالتنا فكنا نراقب بعضنا ونسجل صمتنا. فظننت حيناً اننا سنفنى فناء المتواكلين. فكنا نعيش وننتظر شيئا نجهله حتى أقبل علي منذ يومين. جلس قريبا مني ونظر إلي مليا ثم قال:

– تحصلتم على الاستقلال؟ مبروك.

ففهمت مقصوده فأجبته بخبث:

– تعني تحصلنا كلنا على الاستقلال، أنت وأنا وكل الشعب العربي التونسي وكل الاخوان والاخوات وإن شاء الله تستقل الشعوب المستعمرة كلها وتعود إليها كرامتها وعزتها ويحصل كل واحد من أبنائها على شغله وحريته وخبزه وراحته ويتحرر من حالته الفاسدة....

فقاطعني

– كأنك المرحوم فرحات حشاد يخطب. لكن أتظن يستقل الانسان من الانسان والقريب من قريبه ؟

– هذا هو الاستقلال الكبير. الحر يا أخي هو اللي يحب الحرية لغيره كما يحبها لنفسه.

– أتظن الانسان يقدر يتحصل على كرامته ويصبح مثلك ؟

– طبعاً ولا بد. يقدريصبح أحسن مني الف مرة.

فتحذر قليلا ثم أضاف

– يقدر الانسان يتحرر حتى بكذبة ؟

– إذا كان الكذب الوسيلة الوحيدة لا بد يستعمله حتى يتخلص ويتركه من بعد.

– ليلة القدر جاية بعد يومين. هي ليلة سعيدة والله ؟ قلبي أنت تأمن بباب العرش ؟

– سمعت عنه. لكن باب العرش كان لاهل عصر الرسول ونحن اليوم في القرن العشرين.

فكف عن السؤال وقام فدار في البيت فرأيته مطمئنا هادئاً يكاد يبتسم. ولما فارقني شعرت أنه مسرور. سررت بدوري شعورا مني أني طمأنت نفسه. لكني تراجعت عندما أدركت اني بعته كلاما ونظريات كنت أشك في امكانية تطبيقها على أغلبيتنا لان منزلتي أقوى برهانا على ذلك. فحالتي أشبه بالبارحة من اليوم. تراجعت ثانية لانني شعرت اني انانى اتخذ نفسي مقياسا لغيري. فعاتبت نفسي وضحكت منها لأني أريد أن أصبح كريما دون أن اكد ودون أن أكافح ولو كذبا. فكأني من أهل باب العرش.

ففضلت النوم وبيع الحمص حتى كانت الليلة الماضية التي طرق فيها بابي طرقا وخمد صوت عبار فجأة.

نسيت عبار وذكرياتي عندما رن في أذني صوت عجوز

– اعطني يا ولدي قرطاسين حمص ؟

ـ الله يبارك يا للا ـ تفضلي عشرين مليم .

فلما فارقتني قمت ورفعت متاعي وتوجهت إلى منزلي لأطهي عشائي لأن ساعة الإفطار كادت تدق نظرت حولي فرأيت العجوز التي اشترت مني الحمص. فلاحظت أني أكاد أكون من سنها. فتعجبت من تصغيرها إياي لكنني استحسنت عبارتها وفرحت بها. فشعرت بنفحة من الشباب تعود إلي رغم أنني فقدت طعم الشباب منذ سنوات. فكانت الديار تبدو لي متشابهة والوجوه متقاربة والضحك تكلفا أو تهورا والسماء شهباء والنور سابقا للظلام. فلقد نسيت اني كنت أضع في كل شيء رمزا موجودا أو مفقودا لأن الحياة عندي لا تستحق الاعتبار دون رموز تضمحل مع الشيخوخة التي تدرك الأشياء غالبا من وراء فتور يخيم على النفس ويغشي النظر.

اندمجت في شارعي فظهر لي القصر وبيتي الخشبي. فكان لوناهما متناقضين ومظهرهما فاترين. نظرت حولي لعلي أفوز بعبار جالسا على الحجرة فلم أر أثرا له لكن لفت نظري نور في بيتي وما عودت على ترك النور في النهار. فهرولت وكدت أقع على وجهي خوفا على متاعي من الغرباء. عدت فركضت ولهثت ثم دفعت الباب مرتعشا فرأيت رجلا طويل القامة أنيق اللباس أسود الوجه باسم الثغر. خفت منه وأردت ان أسأله. فبادرني :

ـ اسكت، اسكت، ياسي مسعود. بالله اسكت والا تولي أخرس. بالله ! بالله يا سي مسعود ! أنا عبار صاحبك.

فسكت خوفا على نفسي وإرضاء له ثم نظرت إليه مليا فإذا هو عبار. ابتسم ثم قال متوسلا متوجعا

ـ بالله ما تنطق بكلمة واحدة وإلا تولي أخرس. اومن بكلامي، وأنا نفسر لك كل شيء.

فرضيت بالسكوت والجمود مثلما ارتضاهما لنفسه مرارا. لكنني ثرت على نفسي ونظرت إليه محتجا. فاقترب مني يجر رجله اليسري التي أضرها حذاء أحمر جديد حسبته أول حذاء رأيته في رجليه منذ عرفته.

ـ تعرف ياسي مسعود، أنا ريت باب العرش البارحة ! ايوه ريته أنا عبار الأسود ! نعرفك ما تؤمن بالمعجزات لكن أنا ريت باب العرش.

فازدادت حيرتي ولذعني الصيام فغشى عيني. فنظرت إلى ملابسه. ففهم مقصودي

– هذي الملابس الجديدة طلبتها من باب العرش وإذا بها فوق جسمي. جميلة هه ! اش قولك فيها ؟
فامتعضت واردت أن أصرخ فقاطعني.

– كأنك تكذب في . اتحب حجة ؟ طلبت من باب العرش يحرم شارعنا على الناس في ها الصباح حتى للساعة التاسعة. ريت ناس في الصباح وقت اللي رحت انت للسوق؟

فأدركت بغتة أنه على حق. إني أتذكر أن الشارع كان فارغا عندما قصدت السوق متأخرا هذا الصباح. فنظرت إليه وحركت راسي مؤيدا كلامه . قهقه منتصرا

– الحمد لله. حتى أنت اقتنعت. أهل الدار اقتنعوا من السحور.وهذا هو السبب اللي خلاك تقوم متأخر لأنك ما سمعت صوتي، صوت الخادم القديم . فازداد اقتناعي به وخطر ببالي سؤال. كيف اقتنع أهل القصر بمعجزته ؟ وكيف تركوه حرا لأني كنت أتوقع أنهم لن يتركوه إلا بعد امتصاصه مصا ولن يفرطوا فيه إلا إذا قبر. وما كدت انتهي من تفكيري حتى أجابني كأن أوحي اليه بما جرى في خاطري.

– أتحب تعرف كيف سكان الدار اقتنعوا بالمعجزة؟ دخلت عليهم وقلت ريت باب العرش ! ! كل واحد يكلمني وإلا ينادني يصبح أخرس ! ! سكتوا كلهم الا العجوز أم صاحب الدار تجاسرت وتكلمت لكني زمجرت في وجهها حتى خرست طول الحياة.

فازدادت حيرتي وصداع رأسي وخيل الي أني أسمع أسطورة من أساطير الأولين فيها عفاريت وجن وأشباح. لكن عبارا موجود أمامي يحدثني وما قدم من حجج يبدو منطقيا معقولا.فأومأت إليه بيدي وراسي طالبا منه أن يفسر لي سبب تعلقه بخرس غيره.

– ها . فهمتك، فهمتك. الكلام هو الداء في ها الدنيا. بالكلام الانسان يستعبد الإنسان ويكذب عليه ويخبي عليه الحقائق. الكلام جعل الناس يتاجروا بالدين والحق والوطنية والعدالة الاجتماعية و و........ وتركوا الأعمال.

ففهمت أنه يريد أن يبين لي أن الآراء والأعمال الإيجابية لا تحتاج إلى الكلام للتعبير عنها وتطبيقها تطبيقا مفيدا. تقدم نحوي وسحب من جيبه أوراقا مالية كثيرة.

ـ أنا غدوة ماشي لافريقيا، تحب تمشي معاي؟ الفلوس كثيرة نعطيك نصفها ونخلص عليك السفر ونزيد نعطيك وظيفة. ما تخاف، السود عمرهم ما يستعبدوك. في افريقيا الناس كل اخوان. اش قولك، تمشي معاي؟ أنا غدوة نركب من الخربة في تاكسي إلى صفاقس. إذا تحب تمشي كون في الساعة السابعة في الخربة.

فكدت أختنق لأنه عرض علي أشياء هامة خطيرة ومنعني من الكلام للتعبيرعن رأيي .فأردت أن أتكلم ولو خرست إلى يوم البعث. لكنني هدأت روعي وقربت اصبعي من جبيني ثم دورته مشيرا إلى أنني سأفكر في الأمر. فهمهم وخرج وما كاد يغلق الباب حتى فتحت فمي على وسعه وصرخت صرخة خيل الي أنها خارجة من أعماق إنسان لم يتكلم منذ الآف السنين. عدت فصرخت صرخات أقل من الأولى ثم أصابني خوف مريع لأنني أدركت لأول مرة مأساة عبار الذي كان ساكتا غالب حياته وأدركت أيضا مأساة المخنوقين في الأرض الذين فرض عليهم الصمت فعاشوا صامتين.وماتوا صامتين فما عسى أن يكون مصير الدنيا لو صاح مثلي المخنوقون والخائفون من الجوع والمرض والفقر والقنابل الفتاكة؟ وما عسى أن يكون مصير الحق لو فني كلام بني الإنسان؟

جلست على صندوقي وانهمكت أفكر في مبادرة عبار ومشروع سفره. فرفضت دونتردد قبول عرضه وتأبطني الشك. فمن يضمن لي أن أقوال عبار حقيقية؟فالبون شاسع بين المنطق والحقيقة. فلعل عبارا قد أجاد الكذب واتقن التزوير؟ ولعل الخرس أصاب العجوز خوفا من زمجرته لا من معجزته؟ الا تراه اشترى لباسه الانيق بعدما اكتسح المال اكتساحا من سيده؟ لكن ما حيلتي أمام حجته المتعلقة بالشارع الذيخلا من الناس في هذا الصباح؟ وكيف أفسر هدوءه وخضوع أهل القصر لحججه؟ فلو قبلت عرضه ألا أخشى على نفسي من ماله؟ ولو سافرت معه وخبنا اتظنني أرفع الراس بعدها؟ ليت معجزته كانت بشرية اذن لصدقته وامنت بكلامه من أول لحظة!

تكاثرت على الأسئلة والحلول فقمت وجبت بيتي طولا وعرضا وأخذت أفكر في إمكانية السفر مع عبار. فزينت لي نفسي الحياة فرأيتني ثريا كريما قد عاد إلي شبابي بفضل المال ووسائل العلم الحديثة. فنسيت همومي وأصبحت لا أفكر إلا في الخلود. فشعرت عندئذ أن الكرامة مثلها مثل أغاني الصبا تعود لنا يوما على غير موعد. فهي تسهد في الإنسان مرارا وتنام في أعماقه أحيانا ولكنها لا تموت أبدا. تحمست لعرضه فارتميت على صندوقي وفتحته ثم أخرجت منه كيسا لأضع فيه متاعي تهيؤا لرحيل الصباح. فبدا لي أن أثاثه كثيرة لا أتمكن من حملها كلها. فقررت رمي بعضها. فتناولت خرقا مختلفة وحققا فرميتها بسرعة ثم ادمجت يدي ثانية وكدت أرمي «حرزا» فيه أسماء الله الحسنى وبعض التوابل والأعواد المباركة فلقد أهدته لي أمي المرحومة ليحفظني من الشر والعين الحسود ويأتيني بالخير. قلبته مرارا ثم قبلته ورميته بشدة. نظرت داخل الصندوق فرأيت كتابين أحدهما مصحف قرآن والثاني " المنقذ من الضلال " من تصنيف الإمام الغزالي. نفضت عنهما الغبار ثم وضعتهما في الكيس. فلعل وعسى ...؟ ملأت كيسي بثيابي أيضا وبقيت في الصندوق ابر ومساسيك وخيوط لا أحتاج إليها. فلما انتهيت شعرت بتعب وجوع فأكلت قليلا ثم فكرت في عبار فاستغربت من ادراكه للأمور رغم جهله وصمته وشكرته من صميم فؤادي على أخوته وعطفه علي. وقلت أن الخير يأتيك ممن لا تنتظر مودتهم فمن يعش ير.

نمت مبتهجا مسرورا بمصيري الجديد وتمنيت لو طوي الليل ساعاته طيا وأقبل النهار. استيقظت في الفجر لأني سمعت نقرات خفيفة على بابي. فظننتها الريح التي كانت تهب قوية في تلك الليلة. عدت إلى نومي لكن النقرات عادت. فأردت أن أقطع الشك ففتحت الباب. فلم أر شيئا. فتّحت عيني ونظرت إلى اليمين فرأيت عبارا مرتديا قميصه القديم ويرتجف من البرد.

فأردت ان أصيح في وجهه لكنني خفت من الخرس.

ــ العجوز نطقت يا سي مسعود ! سامحني أخي .... نعاودها مره أخرى.

محمد رشاد الحمزاوي

اللغـــــز الظــــــامئ

بقلم : نور الدين صمود

الوجوه الصبـاح
داعبـهـا النـور
ففاضت
بالفتنــة الشقـراء

* * *

كم تمنيت
ان اصب شفاهي
فـي شفـاه
صـبـيـة
لميـاء

* * *

واذا مـا قبلتهــا
في فـتـون
وجـنــون
ورقـــة
واشتهاء . . .

* * *

خلـت انـــي
أطفأت نار حنيني
وارتوى القلب
من فتون
الرواء . . . .
وقطفت الجمال
والحسن
والاشـــراق
والـنـور
من تـلال الضيـاء

* * *

غير اني
ارى الجمال امامي
فيجن الجنون
فــي اعضائي

* * *

انـا كالنحـل
يغمر الزهر
لـكـــن
كيف يروى
مـن فتنــة الاشذاء

نور الدين صمود

أبــــــوة روحيــــــة

بـقلم البشير الزريبي

من الحقائق البديهية في ميادين التربية الحديثة القول بضرورة اتصال وتعاون دعائم الأسرة العائلية مع المعلمين والمربين عموما، إذ على مثل هذه العلاقة وعلى قدر أهمية هذه العلاقة تكون الفرص المواتية أو غير المواتية وتتهيأ الظروف المساعدة أو غير المساعدة على بلوغ الأهداف التربوية التي نتقصدها ونعمل على تحقيقها في الطفل إن آجلا أو عاجلا ذلك أن الطفل المدرسي مهما تكن تأثراته بالمحيط التعليمي أو التربوي في هذه الأجواء النظامية المدرسية؛ فإنه لمن الخطإ الشنيع الزعم بأوحدية تأثراته تلك أو بانعدام ما عداها من المؤثرات المحيطية الأخرى أمثال الأسرة والجوار وحتى الشارع والسينما والملعب الرياضي وما إلى ذلك من العوامل التي لا يجحد تأثيرها البالغ على الطفل – ولعل الحق الذي ليس فيه شك أن يرى لمجموعة هذه العوامل الآنفة الذكر فعالية لا تدانيها أية فعالية أخرى وحتى تلك التي يبالغ من الإعتداد بها مما ينسب إلى المدرسة من عظيم القدرة على صقل العقول وبعث الملكات وتهذيب الخلق.

على أنه إذا كان صحيحا ما يرى من أن المعلم بإمكانياته التربوية الفنية لعلى اقتدار وعلى تأثير بالغ لا يضاهيه أي تأثير في جانب من جوانب شخصية الطفل وهو الجانب العقلي فإنه لا مجال لمزاحمة اقتدار وتأثير الوسطين العائلي والعام على ميول وعواطف الطفل وبالتالي على أخلاقه وتوازنه الوجداني الإجتماعي – هذا الى ان كلا من الوسطين المدرسي والعائلي له نواح ينفرد فيها بتفوق التأثير نسبيا لمقابله من بقية العوامل المؤثرة إلا أن كلا منهما لا يمكنه الاستغناء عن الآخر بل هو محتاج مفتقر إلى مؤازرته ومعاضدته في سعيه التربوي وفي هذا التكامل العاملي نفع الطفل وانتفاع المجتمع بأسره، كما أنه في الوقت نفسه يخشى ويتجنب مصادمته ومعارضته لأن هذه الحال تؤدي حتما إلى عرقلة الجهود وبعثرة المساعي وضياع الطفل ضياعا زهيدا أو خطيرا وبالتالي ضياع المجتمع الذي سيؤول إليه كوحدة من وحداته –

من أجل هذه الأعاذير جاء القول بضرورة قيام رابطة مثمرة بين المعلم المربي وبين الوسط العائلي للطفل يتم عن طريقها توحيد المواقف وتظافر الجهود لفهم الطفل ومتابعة تطوره متابعة حصيفة وموجهة وإنك

لتجد ضرورة ملحةتدعوهذه الأوساط المستنيرة بالأبحاث التربوية إلى عقد إجتماعات دورية وكلما قضت الحاجة بأولياء الأطفال للأخذ منهم ما قد يفيدنا في عملنا المدرسي من معلومات نستأنس بها ونزداد بها قدرة على مجابهة العقبات فنتغلب عليها في النهاية. هذا من ناحية ومن أخرى تنظم هذه الإتصالات بأولياء التلامذة لإرشادهم وتوجيههم بما يجمل بهم توجيه أبنائهم به في عقر بيوتهم عندما يعودون أدراجهم إلى تلك البيئة التي تكون خلوا من الرقيب المدرسي —

هذه هي المدرسة الحديثة الرامية والحالة هذه إلى أن تكون مواقف الأباء والأمهات غير مخالفة ولا مناقضة لمواقف محترفي التربية والتعليم من معلمين ومدرسين، بل هي كما نري تسعى جهدها في أن تكون تلك المواقف متممة لبعضها بعضا متناغمة متشازرة — كل هذا ترى له وجاهة واهمية قصوى نظرا للغاية التي نصبو إلى تحقيقها به وهو إبعاد الطفل عن هوة التناقض وذبذبة الإتجاهات وهذا ما كان ليكون لولا أن يستتب حيال الطفل هنا بالمدرسة وهناك ببيته معايير مطردة وقيم موحدة وخطط توجيهية متفقة يتم في ظل الإهتداء بها كل من التوازن العقلي والوجداني بله الجسماني والاجتماعي.

وإنه لمن شر ما يبتلى به الطفل في مراحل نموه الأولى أن يكون والده فاقدا العناية بولده وبنشاطه داخل الوحدة المدرسية أو جاهلا بمستواه وبمدى ضعفه وقوته إجمالا أو تفصيلا في المواد الدراسية. وإنها لبلية حقا أن يكون والده هذا أميا وتزداد خطورة الأبوة على حاضر طفله وبالتالي مستقبله إذا كانت مليئة بالتعقيد مأزومة بواحد أو بكثير من شتى ضروب الإضطراب النفسي والعقلي أو الخلقي وكم هوصحيح هذاالتشابهالذي يرى بين عدوى الأجسام وعدوى النفوس إذ كم من آفة جسدية، يفسر وجودها في الطفل على أساس عائلي وراثي وكم من آفة عقلية نفسية أو خلقية إجتماعية عدت وليدة تكوين عائلي وبيء انحدرت إلى الطفلفي ظل توجيهه تلقين عائلي فاسد أو في ظل انتصاح عقيم ومضلل جد على يد ولي غير كفء.

ههنا نلحظ مدى مسؤولية المشرفين على ميادين التربية في الأمة فليس عملهم موقوفا على تخير الأساليب والطرق البيداغوجية لتأدية رسالتهم المهنية على الوجه الأكمل بل تجتاز مهمتهم هذه الحدود إلى ما وراء أسوار المدارس والمعاهد التي بها يعملون. وهكذا تصبح عنايتهم بالطفل دائبة مستمرة تلاحقه حيثما حل وأينما سار في الطريق العام، في المنزل،

في المكتبة، في الملعب، في دور السينما، في المسرح، في الرحلات، في النزهة القصيرة –

ولقد تذهب إزاء هذا الإطلاق في المسؤولية التربوية إلى أن هذا الاهتمام المنشود من المربى يستلزم المحال والا فان المعلم سيصبح في طاقته ومقدوره أن يكون شمساً تطل على عالم الطفل في كل مكان ومن هنا فليس بمستطاع القيام بشرائط هذا العمل التربوي البالغ في مثاليته حداً اجتاز حدود نظيرتها عند كل من أفلاطون وهيجل، ونحن بودنا أن نكون مع المثل العليا في تبعية الطاعة للاستطاعة بحيث لانطلب من المربى ما لا تبلغه طاقته وما لا يدخل في إمكانه.. قلت هي التربية ابداع وخلق مستمر، هي موهبة وسعي لا يعرف الونى ولا يتطرق إليه الفتور هي عمل دائب لا يسأم مواصلة الجهد بل يشوقه اتصاله وتلاحقه هي حمية دائبة وصبر متجلد – هي جناح سلام يكلا الطفل برعاية حادبة مؤثرة ليس فيها طمع أو أنانية .. ولا بها نوايا خفية أو أرباح تجارية هي إنسانية منبعها الإنسانية وغايتها الإنسانية – ومن هنا كانت وتكون امكانياتها لا تحد بالأقيسة العرفية والحدود المنطقية بل هي فوق هذه وتلك تبهرك هيبة وجلالاً وتخشع لذكرها القلوب والضمائر وتخفق لوقعها الاحاسيس والمشاعر.. وهي أولا وآخرا من جسامة الاعتبار ومن خطورة الرسالة التي لا يولاها إلاّ ذو فضل عظيم.

البشير الزريبي

اريـــــــــــان

بقلم : **جعفر ماجد**

سيرى بها
نحو الفضاء الازرق

وتمهلى
ان فتنتى
لن تلحقى
اخشيت
ان حملتها ،
ان تسرقى
فوددت لو
طار الثرى
لتلحقى ؟

يا من سرقت الشمس
لى

من مشرقى

وخدعتنى
بدقائق
بدقائق

فبسطت لى
روضا
بديع الزنبق

وطويته
وزهوره ،
لم تعبق

لا شيء اقوى
من فؤادى
المخفق

خلفته
مثل الفراش
المطرق

ذهب الربيع
ولم يطن
وينشق
وحملتها
ونسيت أن
تترفقى
كسحابة
هربت
بهطل ريق
كالطير
فر بحجة
من مأزق
لا تسرعى
ان فمتنى
لن تلحقى
فالنار
لو
اخمدتنى
لم تحرق

جعفر ماجد

نفائس المكتبة النورية بصفاقس

بقلم : **محمد محفوظ**

التعريف بمؤسس المكتبة : هو الشيخ على بن سالم بن محمد بن سالم بن احمد بن سعيد النورى (1) قرأ على اعلام بالزيتونة والازهر ، ثم رجع لبلده صفاقس ، وانشأ زاوية لبث العلم فى عصر مظلم كانت معاهد العلم فيه قليلة وقد توافد على زاويته لاخذ العلم طائفة من ابناء الساحل والقيروان ٠

وكان من العلماء العاملين المجاهدين ، اذ انشأ مراكب صغارا للجهاد كانت لها اثر محمود فى رد عادية فرسان مالطة على صفاقس ٠

وكان لا يأكل الا من كد يمينه مستغلا اوقات الفراغ بالاشتغال بالحياكة ٠ وله ولوع بالمطالعة وجمع الكتب ، قال الوزير السراج فى تاريخه « الحلل السندسية » ج 3 – خ « وجمع كتبا عديدة ، ما اعلم احد اليوم جمع ما جمع هو ، بحيث اطلق يد شركائه فى بر المشرق مهما رأوا كتابا بلغت الكراسة منه اربعة نواصر يأخذونه ولو كان مكررا ، فيمسك الطيب من المكررين »

وبهذا نعلم سبب وجود كثير من الكتب المشرقية بمكتبته ٠

مؤلفاته : انقاذ الوحلة ، فى معرفة الاوقات والقبلة ، ط ، بتونس 1331 هـ 78 ص (رسالة صغيرة) ٠

منسك شرحه الشيخ محمد بن يوسف الكافى وسماه « هبة المالك ، على تأليف الشيخ على النورى فى المناسك » ، ط ، بمط ، الامة بمصر 1330 هـ 1912 م ، 192 ص عدا التصويبات والفهرس

غيث النفع فى القراءات السبع ، ط ، بمصر مرارا ٠

معين السائلين من فضل رب العالمين فى الادعية المأثورة، (ص 100 من منسكه السالف الذكر) لم أره ٠

مقدمة فى الفقه والتوحيد والتصوف ، عثرت على بعض اوراق من مسودتها بخطه ، شرحها الشيخ احمد بن سالم النفزاوى شارح الرسالة القيروانية ، اطلعت على قطعة منه ٠

---

1) هكذا وجدت بخط يده ، وهو خلاف ما فى الكتب التى ترجمت له ٠

عقيدة ، شرحها الشيخ على بن احمد الحريشى الفاسى، المتوفى سنة 1143هـ اطلعت على قطعة منه ، سماه « المواهب الربانية ، على العقيدة النورية » وشرحها تلميذه قاسم المؤخر الانصارى، منه نسخة بالمكتبة العبدلية بتونس.

رسالة فى السماع وفى وجوب كتابة المصحف بالرسم العثمانى ، جاء فى مقدمتها « ... وبعد فقد ورد علينا من الشيخ الفاضل المتقن المتفنن الكامل نخبة الزمان ، وقدوة الاقران ، سيدى عبد السلام بن عثمان ـ صرف الله قلبى وقلبه عن التعلق بمن دونه ، وجعلنا من قوم يحبهم ويحبونه ـ تاليفان عجيبان مشتملان على مسائل ، وقع فيها الاضطراب بين فقهاء طرابلس المغرب ـ أدامها الله دار السلام ، وصرف عنها اعداء الله الكفرة اللئام ـ وطلب من الفقير ، هو والشيخ الاجل الناصح سيدى على عرف الفرجانى ، النظر فى التألفين والكتابة عليهما بما يظهر لنا انه الحق والصواب ... »

فهرست حافلة ترجم فيها لمشايخه المغربة والمشارقة . توفى ـ رحمه الله ـ فى منتصف نهار يوم الجمعة 12 ربيع الاول سنة 1118 هـ ، وما فى تاريخ مقديش انه توفى سنة 1117 هو تحريف بلا شك .

وقد سار ابناه محمد واحمد على قدم والدهما من العناية بالزاوية والمكتبة واشتريا لها كثيرا من الكتب .

نفائس المكتبة ـ 2) قطعة من الجزء الخامس من « المصنف » تاليف الحافظ المحدث عبد الله بن محمد بن ابراهيم بن عثمان بن فواستى العبسى ، مولاهم الكوفى ، ابى بكر بن ابى شيبة (ت ، سنة 235 هـ ـ 849 م) ، شيخ البخارى ومسلم وابى داود والترمذى والنسائى .

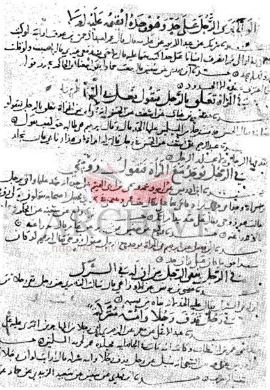
« قال نفطويه : وفى سنة أربع وثلاثين اشخص المتوكل المحدثين ، وقسمت الجوائز بينهم ، وامرهم المتوكل ان يحدثوا بالاحاديث التى فيها الرد على المعتزلة والجهمية ، فجلس ابو بكر بن ابى شيبة فى مسجد الرصافة ، فاجتمع عليه نحو من ثلاثين الفا »

قلت : حمل عنه كتابه « المسند » و « المصنف » بقى بن مخلد ، وهما فى غاية الحسن .

وصف النسخة : 28 × 20 ، بكل ص 25 سطرا ، تبتدىء بقوله : فى الوالى يرى الرجل على حد وهو وحده أيقيمه عليه أم لا ؟ وهذا الكلام من كتاب اقضية رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذى ينتهى بأخر الورقة 12ـو ـ بالنسخة

2) «الذهبى : تذهيب التهذيب ـ ج 2 ـ خ »

اثر بلل وسوس ، افسد السوس يسيرا من الكلمات ، اما البلل فقد افسد من ورقة 73 ـ و ـ الى 109 ـ ظ ـ بحيث انطمس أثر الكتابة ولم يعد من المستطاع قـراءتهـا .



الصفحة الاولى من « المصنف » لابى بكر بن ابى شيبة »

وبأخر النسخة : فى الرجل يأسره العدو فيموت له الميت أيرث منه شيئا ؟

ثم قال الكاتب : آخر السفر الخامس من المصنف للحافظ أبى بكر بن شيبة عبد الله ابن محمد بن ابراهيم العبسى ـ رحمه الله تعالى ـ

عدد اوراق النسخة : 170

خط مشرقي جميل يهمل اعجام كثير من الحروف ، ولا يكتب احيانا الحرف بشكله الكامل المتعارف ، مثلا وكيع يكتبها هكذا : وليع ۰

يضع الكاتب في نهاية كل حديث هذه العلامة (۰) للفصل بين الاحاديث ، وان كان الاصطلاح المعروف ، ان علامة الفصل بين الاحاديث هي نقطة مجوفة صورتها : o ، « وكان قارىء النسخة على الشيخ او معارضها على النسخ يضع نقطة اخرى مصمطة داخل هذه الدائرة (۰) ليدل بذلك انه انتهى في مراجعته الى هذا الموضع » (3)

توجد نسخة من الكتاب في ثمانية مجلدات بمكتبة مراد ملا بالاستانة (4) والكتاب مفيد لدراسة تاريخ الفقه الاسلامي وتطوره ، والمنهج الذى سار عليه انه قسم الكتاب الى كتب (أبواب) افتتح كل كتاب بالاحاديث الواردة فيه ، ثم يذكر اقضية الرسول ـ ص ـ والصحابة والتابعين ـ رض ـ

2) « المفاتيح القرطاسية ، في شرح الشقراطسية » تأليف محمد بن احمد ابن محمد بن مرزوق العجيسي التلمساني المعروف بالحفيد (ت ، سنة 842هـ ـ 1438 م)

وصف النسخة : 20،3 × 13،4 ـ بكل ص 23 سطرا بخط مغربي من النوع الشائع الاستعمال في الجزائر ـ

عدد اوراق النسخة : 241

بها نقص من اولها نحو الورقة ، والنسخة لا تحمل عنوان الكتاب ، ولعله كان مكتوبا بالورقة الاولى المفقودة ، وبها نقص في آخرها تعذر معه معرفة تاريخ الفراغ واسم الناسخ ، وما وجد بأخرها يشعر بان النقص يسير « فهذا ما قصدته من هذا التقييد والله الذى من علي باتمامه اسأل ان يجعله ذخرا نافعا يوم يجازى العبيد ، بمقتضى الوعد والوعيد ، وان يقيني واحبابي به كل نوع »

---

3) عبد السلام هارون : تحقيق النصوص ونشرها ، القاهرة 1374 ـ 1954 ، ص 67

4) مقالات الكوثرى ص 141



الورقة الثامنة من « المفاتيح القرطاسية ، شرح القصيدة الشقراطسية » لابن مرزوق الحفيد ، وبالهامش خط احمد العصفوري

والنسخة يتخللها نقص فى الاوراق فى مواضع متفرقة ، وبها اثر بلل افسد فى طالعة عدة اوراق بضعة اسطر ، يبتدىء من الورقة 221 الى آخر النسخة ٠

هذا وقد ترجع عندى ان الكتاب هو شرح ابن مرزوق على الشقراطسية بامور ٠

1) ذكر فى مقدمة الشرح انه كان بتونس عام 820 ، اى قبل وفاته بنحو 22 سنـــة ٠

2) ذكر ان القصيدة حصلت له بالاجازة العامة من شيخه « العلامة امام وقته علما ودينا ورئاسة بلا منازع ، ابى عبد الله محمود بن عرفــة » ومـن المعروف ان ابن عرفة من شيوخ ابن مرزوق الحفيد ٠

3) احال فى عدة مواضع من الكتاب على شرحه الكبير للبردة المسمى بـ « اظهار صدق المودة » وهو من تاليفه المعروفة الباقية ٠

اشتملت المقدمة على ترجمة الشقراطسى ، واسانيد المـؤلف فى روايـة القصيدة عن شيوخه المغاربة والمشارقة ٠

وقد سار فى شرحه على منهاج مرسوم ، وهو انه يتكلم اولا عن اللغة ثم عن تفسير المعنى ثم عـن الاعراب ، وقد اولع بمناقشة الشارح ابـن الشباط التوزرى فى تفسير المعانى والاعراب ٠ والكتاب شاهد برسوخ قدم ابن مرزوق وامامته فى العلوم اللغوية والدينية ٠ ووجدت بورقة ملصقة بالنسخة ما نصه « بيد المكرم الاجل سيدى الحاج محمد المحمدى » ــ « بيد محبنا على بن الرايس براهم بن عبد الله بتونس » ٠

وبالورقة الرابعة : « صار ملكا لعلى بن عبد الله وابنا اخيه الحاج ابراهيم » وبالورقة الثامنة كتابة بالهامش بخط احمد العصفورى تضمنت مناقشة المؤلف فيما سماه بالتجنيس المحرف ٠

3) « الجزء الثانى من تذهيب التهذيب ، مختصر تهذيب الكمال » تأليف الحافظ المؤرخ محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز المعروف بالذهبى (ت ــ 748 هـ ، 1348 م) ٠

قصة الكتاب : « الكمال فى اسماء الرجال » تاليف الحافظ عبد الغنى بن عبد الواحد المقدسى الجماعيلى (ت ــ 600 هـ) صاحب العمدة والنصيحة موضوع للكلام عن رجال الكتب الستة (الصحيحين وابى داود والترمذى والنسائى وابن ماجه) ، يقع فى نحو 4 مجلدات متوسطة ، هذبه الحافظ يوسف المـزى (ت ــ 742 هـ 1341 م) شيخ الذهبى ، واستدرك فيه على المقدسى نحوا من الف موضع ، وسماه « تهذيب الكمال » يقع فى 12 م ، منه نسخة بالمكتبـة الاحمدية الزيتونية ٠ واختصر الذهبى مؤلف شيخه المزى هذا ونبه على اوهام له ، ذكر ابن شاكر الكتبى فى « فوات الوفيات » 2 / 371 ، ط محى الدين عبد الحميد ، أن « تذهيب التهذيب » ثلاث مجلدات ٠


بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد

الصفحة الاولى من « تذهيب التهذيب » للذهبى

وآخر من هذب الكتاب ونقحه الحافظ ابن حجر وسماه « تهذيب التهذيب » المطبوع بالهند فى 12 مجلدا ٠

وصف النسخة : 26 × 18 بخط مشرقى نسخى جميل ، بكل ورقة 25 س تبتدىء بحرف الخاء وتنتهى بعبيد الله بن عبد الله ــ بها 300 ورقة ٠

فى الصفحة الاولى فى الزاوية اليسرى بعد عنوان الكتاب ما نصه :« الحمد لله تعالى ، من كتب العبد الفقير محمد بن عبد اللطيف الحنبلى ، الامين بالجامع الاموى ، عفى عنه » ٠ وعلى يمينها « ثم صار للفقير عبد الله بن زيــن الديــن البصروى ، غفر له » ٠

وبأخر النسخة « وافق الفراغ منه يوم الاربعاء ثامن جمادى الاولى سنة اثنتى عشر وثمانمائة، على يد محمد ابراهيم بن احمد بن الشرف حسن الحنبلي»

وبالطرة « قوبلت الاسماء والرموز الى هنا فصحت ، والله المستعان ، وعليه التكلان » . ومما يؤيد هذا ان بالنسخة مواضع عديدة بالهامش فيها ضبط لاسماء اعلام أو استدراك لما اهمله الناسخ ، وكل هذا بخط ومداد مغايرين لاصل النسخة ، وما كان تابعا لاصل النسخة من الاستدراكات وضع عند نهايته هذه العلامة : (.)

اسماء الاعلام مكتوبة بالاحمر وفوقها كتبت رموز الكتب التى اخرجت حديث المترجم له ، ووضع عند نهاية كل مقطع نقطة بالمداد الاحمر .

بها نقص يسير نحو الورقة فى حرف ـ ر ـ ونحو الورقة فى حرف ـ ز ـ ونحو الورقة فى حرف ـ س ـ

المؤلف يطيل غالبا فى تراجم الصحابة والتابعين ومشاهير الرواة الاعلام ومن عداهم فانه يختصر احيانا حتى لا تتجاوز الترجمة نحو الثلاثة الاسطر .

محمد محفوظ

صــــــــراع

بقلم : الصادق العلويني

الشــراع
مزق العصف الشراع ٠ ٠
وعصا التجديف امسكت
وواصلت القلاع ٠ ٠
فى خضم الكون
والامواج ٠ ٠
تزبد فى ارتفاع
وعواصف الاعصار
تنذر باندلاع
يا للكفاح المر
يا نعم الصراع ٠ ٠ ٠ ٠ !
لا أبــالى ٠ ٠
ان رمانى الموج
او خانتنى الذراع
او طما البحر
وساد الكون هامات السباع
سوف احيا ٠ ٠ ٠ !
فى جهــــاد ،
فى تضاعيف النزاع ٠
والشجاع ،
هل يهاب الموت ٠ ٠ ،
او يخشى الوداع ٠ ٠ ، ؟
يا شعاع ! !
هل أرى ضوءك يوما
فى التماع ، ٠
فينير السهل والنجد
وهاتيك البقاع ٠ ٠

ها هو المسكين يجثو ،
لاهــثـــا
يشكو الصداع
كافرا بالنور
بالامـل المحطـم
بالدفاع ٠ ،
يئسا من حقه فى الكون
لا يرجو المتاع ،
يتمنى الموت ٠
لا يبغى البقـاء
مع الجياع ٠ ٠ ٠
لا يــا اخـى ،
قم جاهدن ،
فى عزم صلد
لن يماع ، ٠
اتظن نيل الحق سهلا
دون بذل او دفاع ٠ ٠ ؟
يا سخافات الظنون
يا خرافات تذاع ٠ ٠ ٠ !
قــم يــا اخــى
وارج الخلاص
ولاتك كالرعاع
الضيــــاع
فاليأس كفر بالحياة ،
ومــا الحيــاة
سوى صراع ٠ ٠ ٠ ٠ !

الصادق العلــوينى

صـــــــــــراع . . .

قصة بقلم علي محمد الغودي

قـالت الراوية : عرفته ذات يوم في مناسبة من المناسبات العادية، كما يتعارف جل الناس، وشعرت منذ أول وهلة رأيته فيها باحساس غريب يجذبني نحوه ويوثقني إليه، كما شعرت أن بنفسه شيئا نحوي مثل ما بنفسي نحوه، وإن كان ذلك مبهما غامضا لم يمكني الوثوق منه بغير الحذر وجس النبض مرارا وتكرارا.

واستطعنا أخيرا وبعد لاي أن نتصارح على هذا الاساس، وتكونت بيننا صداقة متينة، ونشأت عنها علائق وطيدة، وعجب القوم لهذين الخلين الحميمين، واندهشوا أكثر كيف يمكن أن يتعلق النقيض بنقيضه.ثم كيف يمكن أن تنشأ بعدئذ محبة صافية وينمو ود على هذا الشكل الفذ بين انسانين تخالفا قلبا وقالبا وتعارضا أخلاقا وعقلية، وتباعدت بينهما أسباب الحياة نفسها ذاك من الشرق وهذه من الغرب.. وانتصرت الصداقة رغم هذا التناقض الواضح ورغم علم كل منا بما بيننا من فوارق، حتى صرنا نؤمن بأن هذا التناقض الذي يراه الناس جميعا سببا من أسباب الجفاءوالفرقة هو ذاته آية هذه العلاقة الصادقة التي ظلت تتوثق يوما اثر يوم مما جعل عواطفنا نحو بعضنا تزداد اتقادا وحدة وتسمو على ما تعارف عليه الأصدقاء عادة من الرقة والحنان الخالص والود، ولله في خلقه شؤون. وسرنا في هذا الدرب شوطا بعيدا ليس بالهين نضرب ذات اليمين وذات الشمال ونتحسس قلوبنا بأيدينا كل يوم بل كل ثانية علها تتغير أو تتبدل أو تفتر أو يعتريها ما يعتري القلوب من تحول وفتور وبرود ولكنا كنا واهمين. وكنت كلما أحسست بحبه العنيف لي وآمنت بقوة شوقي إليه ينتابني الوجل والخوف والخور وأظل — في صعوبة أبعد عن خاطري أطيافا سوداء تحوم حول رأسي فتشوش أفكاري الناعمة الحية، وأحب أن أصرفها إلى غير ما رجعة إطلاقا. يا لله، هل هذه صداقة فقط. ؟ أم أن هذا حب جارف خيالي كذلك الحب الذي أقرأ عنه في القصص التي تبكي قارئها حين يقرؤها حتى مع علمه الأكيد ان ما يقرؤه لا يعد ومجرد خيال كاتب مهووس أراد أن يستمطر دموع القراء كي يضمن لكتبه الرواج والنفاذ. مهما يكن من أمر فلم أزل أقلب الفكر وأتساءل

هل ما يسمونها بالصداقة يمكن أن تصل إلى هذا الحد وتنمو جذورها فتصل هذه الدرجة.؟ أمر عجيب يزيدني حيرة كل يوم أقابل فيه هذا الصديق الأعجب. ولا أكتمك محظورا إذا لم أقل لك أن أحاسيس قوية جدا كانت تسرى في جسدي وأقطار نفسي مثلما يسرى اللهب في الهشيم وذلك حينما أخلو إليها بين الحين والحين وأجزم أن ألم ما تفرق من أسباب تفكيري لأقول له أن هذه البراءة الحقيقية بل الخرافية المجسمة التي تقوم عليها علاقتنا — أيها الإنسان — لا يمكن أن تجول برأس أحد ممن يعرفونك أو يعرفونني والذين يبدو عليهم اليأس في تفسير عواطفنا كل منا نحو الآخر ثم يمنعهم الحياء منك — وما أكثر الذين يستحيون منك ولا يستحيون مني أن ينطقوا بما يضمرون أو يجهروا بما يسرون، وفي الحق أنني كنت أريده بلا شك أن يأخذ النصيب الأوفى مما كان الغير يجري ورائي بسببه ويبذل النفس والنفيس كي يملكه لحظة من لحظات عمره الغالي ثم يرجع بخفي حنين عندما أتأكد أنه لم يبذل ما بذل ولم ينفق ما أنفق ولم يصب ما أصاب من عناء وتعب الا من أجل ذلك الشيء أو هذا المتاع والعرض الذي يراه الجميع أعظم ما عندي وأراه أنا وعرفت أن صديقي هذا أيضا يراه أقل ما عندي كذلك.. كما أنني في الواقع كنت أريد أن أعبر له تعبيرا محسوسا ولو يوما واحدا عن مدى حبي العميق له وإيماني بأن كل ما يمكن أن أبذله في سبيله ويحوز رضاه هو غاية ما أتمنى وهو أكبر ما أسعى إليه.. بيد أني لأسير طويلا في هذا المضمار حتى يشغلني شاغل طارىء يقطع علي هذه الحلقة الجميلة من سلسلة أفكاري فأرجيء في كل مرة البت فيها إلى فرصة أخرى ووقت أنسب وأليق ولعل طبيعة الأشياء وواجب الاخلاص للصداقة يفرضان على أن أقرر أن أعرب ما لمسته في هذا الصديق تلك الطيبة المتناهية وهذه القناعة العظيمة والعقل الراجح الناضج، وتلك المثل العليا الفاضلة التي لم أره قط تزحزح من الايمان بها وتقديسها رغم ما تمر بصفحة حياته بين الحين والحين من زوابع وعواصف جارفة تكاد تقتلع ما يصادفها من قوائم ثابتة لولا ايمان راسخ وعقيدة حازمة حاسمة ترد الأمور إلى نصابها وتؤكد أن كل الاحداث هينة بالنسبة لكبار العقول من الناس.. وأعود الى القول بأن وساوسي الهائلة القتالة التي أشرت لك عليها لم تكد تبرحني قليلا من الأيام الا لتعود مرة أخرى متخذة أوضاعا غير الأوضاع ونماذج غير النماذج، فقد تغيرت الحال من مجرد أطياف وساوس إلى أن صرت أتكالب على هذا الصديق واستشيط غضبا ويرتعش كياني وينتفض حينما

أنظر في أمره معي وأنه أمضى كل هذه المدة في صحبتي لا نكاد نفترق صباحا مساء، وكل همه أن يحدثني في مواضع عقلية بحتة لا تمت بصلة الى ما أعتقد أنه يجب أن نتكلم فيه، أصبحت أومن — ويا لسخافتي — أن عليه أن يتغزل في قوامي ويمدح جمالي وأن ينشد الشعر في سحر عيوني، وأن يلمس جسدي على الأقل أو يطلب ولو مرة في الشهر تقبيل شفتي ووو.. ولكن شيئا من ذلك لم يكن يحدث منه أبدا. كانت خواطري هذه تجوس خلال رأسي وأنا منفردة بعيدة عنه، أما عند الملاقاة وعندما يبدأ يحدثني أحاديثه الهادئة الفكرية فأثور وأنا جالسة قربه على نفسي وأتهم عقليتي بالجنون والرجعية وأكفر على كل ما يدفعني الى تلك الخواطر المجنونة، ولكني في الوقت ذاته أعترف الآن صراحة أنني بهذا إنما كنت أكذب على نفسي وأسير بها في عتمة مظلمة وأظلم نفسي بنفسي. هل يمكن لامرىء أن يتجرد من طبيعته أو ينسلخ من الجنس الذي خلق منه؟ إذا كان ذلك مستطاعا فأنا أقدر أن أعيش مع صديقي هذا عيشة الحرمان الدائم والصوم الابدي والحب الافلاطوني. كان المسكين يردد دائما أنه يعشق أخلاقي وعقلي وطريقة تفكيري وذلك ما يفتقر إليه لأنه لم يجده عند غيري وكنت في أول أطوار الصداقة أعشق فيه هذه الخلال العظيمة التي لم أجد لها شبها ومثيلا عند الآخرين أيضا، ولكني مع مضي الزمن وبعد أن شبعت عفة ونبلا وطهرا وصوفية لابد لي من أن أسد الرمق لهذا الحرمان الذي صنعه بنفسه وتقبلته مهللة مكبرة، ولأنني وأنا فتاة في مقتبل العمر كنت أحرص وأنشد هذا اللون من الصداقة الذي وجدته فيه ولكني عندما عشت كل هذا الزمن غارقة في هذا الذي كنت أحلم به وأعتقد أنه شبه مستحيل بل هو كذلك أصبحت أمقته وأحقره ،وصار في نظري هينا بليدا غير خليق بالإنسان الذي خصه الله بنعمة القلب والعاطفة وميزه بالشعور والإحساس .. لعلك تعجب مني أو تنقم علي فأنت حر على كل حال، وعذري أنا أني أخذت العهد على نفسي بأن أكون صادقة ولو كلفني ذلك بالحكم على نفسي بنفسي.. ولعمري أن الصدق ليدعوني إلى القول بأن ما كان يجول برأسي من الهواجس وما يموج في داخلي من الإضطراب العنيف بدأت آثاره القاتمة تظهر وترتسم على وجهي فتكسوه اللون الأحمر القاني ثم الأزرق الداكن ثم الأصفر الفاتح وتستقر واضحة على هذا اللون بالذات. كما أصبحت قسماتي وتقاطيعي توحي للناظر اليها بغير ما كانت توحي به من الهدوء والبراءة والرصانة، بل صارت ترمز إلى النرفزة والكبت والحماقة والذعر،

بل والشراسة والخبث، وأقول ذلك لأني خبيرة نفسي ولأني أيضا — إذا ما أردت الدقة في القول — قد عرفت وتحسست هذه العوارض من صفات النفس خلال نظرات الناس إلى حينما تنعكس ظلالي على عيونهم فأقرأ ما أقرأ عليهم فيها من مختلف الخواطر وشتى الصور... وكفرت على سلوك صديقي الطيب علانية وقلبت له ظهر المجن، وكاد المسكين يصعق من هول المفاجأة ومن تصرفي الشاذ الجديد معه، وصيرت بنفسي علاقتنا جحيما لا يطاق، حتى كرهته في الحياة وطعمها ونكدت عليه صفوه ولم أتركه يحلد للراحة ساعة من النهار و لا زلفى من الليل..

وكان أكبر وأشد ما يغيظه مني كونه لا يعلم سببا أو مبررا لكل ما أقوم به من تنغيص وتنكيد وشقاوة، أما أنا فقد كنت أشعر ببركان تتأجج ناره في أعماقي وبحرارة تلسع كياني وتؤرقني وتحرمني نعمة الهدوء ومتعة الراحة، ولم أعرف كذلك تفسيرا بينا لها غير غيرتي القاتلة على كل كلمة يقولها لاى رجل أو لأى إمرأة وكل بسمة تنفرج عنها شفتاه وكل ضحكة يفتر عنها ثغره الحلو وكل إشارة تصدر منه، كل واحدة من هذه الأشياء كافية لأن توقظ في نفسي العفريت الكامن داخل أعماقي وتثيره بحدة ليعمل عمله من تعذيب وارهاق أعصاب وبلبلة فكر وخلق جو من التشويش على كل حركاتي وسكناتي... وبين الحين والآخر وعندما يلحظ على أنني مستقرة وهادئة بسبب فكاهاته الساذجة البريئة التي كان يلقيها بيننا لتلطيف الجو وأضحك معه من قلبي يلومني برقته المعهودة على كلماتي الجارحة أو تصرفاتي الشاذة فيركبني عفريتي الملعون من جديد وأظل أنقم عليه لأنه لم يضربني ضربات قوية أو يصفعني صفعات نارية، لأني أشعر بلذة ما تتركه من ألم ولكن المسكين كان يضحك مني و لا يزيد على أن يربت على كتفي ويطيب خاطري ويقول : سأظل أحبك وأحبك مهما كان تصرفك ومهما حصل منك من جنون.. وحينما أسمع هذا القول يتلاشى قدره من نفسي وأظل أسبه والعنه وأشتمه وأتمنى لو أغرس فيه أظافري وأفتك بجسمه الغض الفتى فتكا ذريعا لا شفقة فيه و لا هوادة معه... — وذات يوم أخذني معه إلى الريف، لدى أحد أصدقائه الخلص، الذين لهم في نفسه موضع الثقة التامة والاعتزاز الكبير، وأعتقد أنه فعل المستحيل كي يهيء لي هذا الجو اللطيف الوديع من الأنس والحبور، وقد كانت جلستنا تحت الأشجار الوارفة، حيث الظل الناعم الظليل يغشينا بنسماته الرطبة المنعشة اللذيذة التي تبعث في النفس الانشراح وتدعو إلى السرور والحرية والإنطلاق

وكل ما في المكان وما في الجو كان في الواقع حريا بأن يجعل الإنسان ضحوكا مستبشرا ولكنني أنا بدأت على نقيض ذلك، اذ ركبني عفريتي المجنون من الطريق وألبسني حلة بغيضة قوامها السأم والإنقباض والشعور بالضجر والضيق الكبيرين، فلم أكد أجلس حتى اصفر وجهي وارتخت مفاصلي وأعصابي ولم أعد أستطيع حتى مجرد النطق أو الرد على أي سؤال، ولمحت عليه الضيق من تصرفي هذا ولكنه كعادته تظاهر بعدم الانتباه والمبالاة ودخل في دردشة مع صاحبه وفذلكه، وبدأت أتناعس لأغيظه أكثر وأكثر، فاستأذن صاحب الدار لما رآني متناعسة منصرفا وتركنا على أن نخلد إلى الراحة والسكون قليلا من الوقت، وعندما صرنا وحيدين وأحسست بأنه آن الأوان لأن يلومني على مسلكي أو على الأقل ليبدأ في الحديث معي تظاهرت بالنوم فلم يشأ المسكين إزعاجي لظنه أني نائمة، وكل ما فعله أنه انتحى ركنا من المجلس غير بعيد مني، واتكأ على الوسادة بعد أن بسط صحيفة كانت معه وصار يقرؤها في صمت وهدوء ولم تمض لحظات قصيرة، — وكنت أرقبه — حتى طوى هذه الصحيفة طيا ورماها جنبا وغاب في سبات عميق، وشعرت توا بأعصابي تتشنج وصدري يعلو ويهبط، وبفرحة مجنونة مروعة تملأ جوانحي وتدعوني في حرارة إلى الهوس والجنون، وانتصبت واقفة في رمشة العين، وانقضضت بقوة عجيبة على صديقي النائم بأعصاب فولاذية متحجرة، أضمه في فورة وذهول إلى صدري وأمتص شفتيه بحنق وغيظ ومكر شديد، ثم أعضه بأسناني الحادة في سائر جسمه عضات فتاكة نزف بسببها الدم من لحمه فصعق مندهشا من لذعاتها وهولها وفظاعتها، ولما أفاق من هذه المباغتة الغريبة رماني بنظرات يتطاير منها الشرر، ثم لأول مرة هوى بكفيه على وجهي يصفعني بهما ذات اليمين وذات الشمال دون أن ينبس ببنت شفة، وهنا فقط سكنت أعصابي الثائرة وهدأت جوانحي الهائجة، ورجع إلي صوابي وتصورت ما أقدمت عليه من شذوذ عجيب ولكني أقسم لك الآن أن شيئا من الندم أو الأسف لم يمر ببالي أو يدر بخلدي إطلاقا ثم رأيته يقوم إلى الماء وهو يتمتم بكلام غير بين، كما أنه أمرني أنا الأخرى بغسل أطرافي ووجهي مثله، وصفق لصاحب الدار بكفيه — وعلمت أن هذه علامة النداء — واستأذنا في الإنصراف رغم إلحاح صاحب الدار لنا بالبقاء...

وتكرر مثل هذا التصرف من جانبي في كثير من المرات، وأصبح صديقي نفسه مؤمنا بأني لم أعد مالكة لأعصابي أبدا وأن الزمام قد انفلت

من يدي وأنني صرت مريضة أعصاب، ويا ليته لم يؤمن بهذا الذي آمن به إذا لما استمر في برودته معي معاملا إياي: على هذا الأساس... ومن أحاديثه الطويلة معي كان يحاول جهده فيها أن يكسو علاقتنا بذلك اللباس البريء الأول، ويطرد من رأسي هذه التصرفات التي تنكد العيش وتجعل من الصداقة أمرا غير جميل فيه السأم والمرارة واليأس، ثم حصل ذات يوم وهو يحدثني أحاديثه هذه التي أكرهها وأمقتها من قلبي وعقلي أن ارتميت على صدره وأخذت في الشهيق والبكاء كالمجنونة حينا غير قليل من الزمن، وفعل المستحيل كي يقنعني بعدم جدوى هذا الذي أعمله الآن ولكنني في فورتي هذه كلمته كلاما أشبه شيء بالهذيان لا أذكر فحواه الآن بالضبط وأعتقد من ضمنه أنك إذا لم ترضني وتشبع رغبتي فلن تطمع مني أن أبقى مخلصة لك أكثر مما بقيت ،إنني أجري وراء سراب، وآه لو عرفت حقيقتك من الأول إذن لما تعذبت كل هذا الوقت من الزمن، أنك بلا شك تريد الضحك علي بسلوكك هذا الذي أقسم أنك لم تسلكه مع غيري البتة، ولم يرد علي بغير الضحك والعبارات اللينة الهادئة، وتركني أفور وأثور كأني بركان يقذف الشرور واللهب، وكنت بقولي هذا أقصد إلى إثارته وإغاضته ، لأن ما ذكرته له لم أكن أومن به أبدا.ولم يمض أسبوع على هذه الحادثة حينما تقابلنا مساء ذات يوم وأخذني معه إلى مكان ما، وهناك رأيته في منظر لم أره قط في مثله من يوم أن تعرفت به، كان يضحك كثيرا ويلقي النكات على علاتها سواء منها البري أو الخارج على قواعد البراءة وأصول الوقار كما أخذ يلمسني هنا وهناك، ويضع يديه على أماكن من جسمي لم يكن يقدر حتى على مجرد النظر إليها وبقدر ما فرحت وسررت واستبشرت بمسلكه معي اليوم، بقدر ما أخذتني الدهشة والمفاجأة حتى ظننت بادىء ذي بدء أن يكون قد غرر به الشيطان واحتسى شيئا مما يخلط العقل على الرجل، ولكني كنت واهمة في هذا التعليل، ولم يمض قليل من الوقت حتى كانت العدوى قد سرت إلي منه وصرت أنا الأخرى أكثر منه هذيانا وعبثا ومجونا، فاستمر جونا هذا من الظهر حتى منتصف الليل تقريبا، ولم نخرج من مكاننا الا وكل شيء كان قد انتهى وافترقنا ولم نلتق الا بعد أسبوع أو أكثر على ما أظن، وعندما التقيت به لاحظت انقباضا واصفرارا غريبين في وجهه، كما أن كلامه كان مقتضبا

وليست به تلك الحرارة والصدق اللذان عهدتهما فيه، وأخذت منه موعدا وحاول أن يتخلص بيد أني تشبثت به تشبث الغريق بالمنقذ، وحان الموعد وكانت جلستنا فاترة باردة رغم محاولاتي الكبيرة في أن أجعلها رائقة وحية ونشيطة، وقرب الانصراف فرضت عليه ما يكره، وألزمته به إلزاما وقلت له في صراحة أن هذا هو الذي سيجعل من علاقتنا حبا حقيقيا وصداقة مخلصة ممتعة، وطوال الجلسة كان ينكس رأسه إلى تحت ، ويبتسم في أسى مرير وكنت أعلم أنه يؤمن إيمانا عميقا بغير ما سمعه مني، وصار يفر من وجهي فرارا وكنت أتبعه في كل مكان حتى حصلت مشادة عنيفة بيني وبينه، تكلم كل منا فيها كلاما كثير جدا، ومن هذه المناقشة الحادة اتضح وجه الخلاف الكبير بيننا، والذى على أساسه يمكن أن تستمر العلاقة والصداقة إذا ما سوى أو تنقطع أبد الآ بدين...

كان من رايي أن الصداقة يمكن أن تعيش وتحيا بين شخصين تصلهما علاقة جنسية باعتبار أن هذه العلاقة لا مفر منها ولا غنى عنها لكل من الطرفين، على ألا يكون هناك كبير التفات اليها، والا تعطي أكثر من اللزوم تأملا وتفكيرا، بحيث يجب اعتبارها شيئا ثانويا لا يؤثر في الود والإخلاص والتقدير القائم بين الصديق وصديقه.. وكان هو على نقيض من هذه المفاهيم رأيا وفكرا وعقيدة، كان يؤمن — وذلك أشد ما أكره فيه — أن هناك معنيين وسبيلين للحب والعلاقة لا ثالث لهما، أما علاقة نقية كالحليب لا يشوبها شيء من الجنس ولا ما يشبه الجنس، أو علاقة جنسية محضة بحتة ،تقوم على المصلحة المتبادلة المطعمة بالاثم الفاجر، والدنس الخبيث كما يقول، وهي ما لا يرغب أن يقيمها معي — على حد قوله —، والأولى لم توافقني ولم أستطع الصبر عليها رغم إحساسي الذاتي بجمال جوهرها وحسن مخبرها، وحاولت التبسط في الكلام على رأيه واقناعه بحل وسط فلم أوفق إلى ما أردت إليه، ولست في حاجة الى أن أذكر لك رأيه في شخصي والمعيار الذي صار به ينظر إلي: بعد اختلاف وجهات النظر بيني وبينه حسب ما ذكرت لك ،.. والواقع أنني بالرغم من هذا ما زلت أرى لنفسي قيمة معنوية طالما لم أغيره ولم أرتم في أحضان غيره اذ رسب في عقيدتي أنني بخير وطهر ما دمت معه على علاقة كيفما كانت

هذه العلاقة، وكيفما كان نظره هو إليها.. وبعدت بنفسي عنه أياما عديدة ولكن نار حبه كانت تشوي أحشائي وتلهب فؤادي فآتيه مسرعة بغير روية ولا تعقل، أقضي معه ساعة أو ساعتين أسمع منه خلالها ما يهد الكيان ويمزق الشعور، إلا أن الغيبوبة المحمومة التي أكون فيها لا تترك لي فسحة أفكر فيها كما يفكر الناس، وبمجرد سكون نفسي وهدوء أعصابي قربه، أهرب منه مسرعة حثيثة الخطو أجرر أذيال الخيبة والاثم ونقمت على وضعي هذا معه، وكرهته — أي الوضع — من كل قلبي وصرت أتحسر على تلك الأيام الجميلة البيضاء التي قضيتها معه في ود وإخلاص وعفاف وطهارة.. شيء واحد تركني أعيش في دوامة هذا الصراع العنيف بين نفسي وقلبي وأفسد علي مستقبلي من الأيام، ذلك أنه بينما كنت في البيت مع أمي ذات يوم، اذ دخل صديقي على حين غفلة وغيبة وطلب يدي منها معتزما الزواج مني، واندهشت وصعقت في أعماقي وأصابني أكثر من الذهول والخبول، لأنني بعقلي السخيف الضيق اعتقدت الا فائدة ولا مصلحة يمكن أن ترجى من استمرار علاقتنا، واتخذت لي خليلا وهو عمل أفعله لأول مرة في حياتي وأقدم عليه بشعور لا أملك وصفه وشرحه وتفسيره، — على هذا الأساس، رغبة في السلوان والنسيان...

وها أنت أيها الإنسان قد سمعت روايتي وعرفت كل شيء مني وكل رجائي عندك الا تحقد علي أو عليه أو تلومني أو تلومه، فأنا مؤمنة أن تصرفه كان نتيجة حبه لي كما كان تصرفي أنا أيضا نتيجة لحبي له.ولكل منا دوافع وعوامل، ولكل منا صراع في نفسه عظيم وشعور بما يشبه الواجب يمليان عليه تصرفا معينا ويقودانه نحو هدف محدود قد لا يرضاه عقله اطلاقا لو فكر فيه جيدا قبل أن يقدم عليه.. أما الآن وبعد أن عرفت حقيقته نحوي، فإنني قد نبذت الخليل وكل ما يتصل به وآمنت بأنه يجب علي أن أعيش مخلصة له طول عمري عساي أكفر خطئي، تتصل روحي بروحه وأعيش على ذكراه الجميلة الحميدة، مكبرة فيه صفاته الإنسانية العظيمة العالية، على الرغم من أنه تزوج غيري ولم يعد لي فيه من نصيب كبير أو قليل، سوى ما تحدثه رؤيتي له من صراع داخل أعماقي عند كل مرة ألتقي به أو أبصره مارا من بعيد...

نقد قصة « الصراع »

رأينا أن نحاول تجربة نأمل أن تفوز برضا قرائنا الكرام وخاصة مراسلينا منهم وهي تذييل بعض القصص أو القصائد بنقد انشائي يقوم به أحد أعضاء أسرة « الفكر » وذلك مساهمة في علاج قضايانا الأدبية وخلق تيار من النقد البناء النزيه في هذه الديار .

الفكر

أرسل الينا السيد محمود الغودي، من طرابلس الغرب بهذه القصة. فرأينا أن نتناولها بالنقد لما وجدنا من مادة خام أصيلة تصلحأن تجعل منها أثرا أدبيا ممتازا.

ومن الآثار الأدبية ما يؤاتي للنقد أكثر من غيره وهي تلك التي تنم عن مواهب مطموسة ونبوغ ضال يبحث عن منفذ له، فيدله النقد إلى الطريق القويم.

وهذا ما رأينا في قصة السيد الغودي.

ونقول قصة لا أقصوصة، وإن كان حجمها يدعو إلى التسمية الثانية لأنها تتناول حكاية حدث قائم الذات كامل، له مبدأ وتطور ونهاية. وذلك شأن القصة وأما الأقصوصة فهي لمحة أوجانب.

وملخصها أن فتاة عرفت رجلا فنشأت بينهما صداقة آلت إلى حب لكن بين الحبيبين خلاف في الموضوع، ترى الفتاة (أن الصداقة يمكن أن تعيش بين شخصين تصلهما علاقة جنسية) ويري الرجل (أن للحب معنيين لا ثالث لهما : إما علاقة نقية كالحليب وإما علاقة جنسية محضة) وعاش حبهما مدة في صراع بذلت فيه الفتاة قصارى جهدها لتثير عواطف من تحب حتى أدى بها ذلك إلى أن تتخذ خليلا. ولكن باء سعيها بالخيبة وانتهى الأمر بالفراق.

المشكل، انساني صادق، وأصدق ما يكون في مجتمعنا الشرقي، حيث تفاوت درجة الثقافة بين الرجل والمرأة وقلة تساويهما في التقدم العقلي. هذا النشاز نعيشه في واقعنا ونشعر بوطأته وما تقوم عليه من مآس يوميا. أو يكاد.

فالطبيب قد وضع اصبعه على مكان الداء.

ومما أكسب الموضوع أصالة، أن الراوية(أخذت العهد على نفسها بأن تكون صادقة)

فها نحن قد تحررنا من الأدب الهادف، من الوعظ والإرشاد. هذا الداءالذي هو في عنق أدبنا المتخبط الطموح إلى التجنيح والتحليق بمثابة الحجر يجذبه إلى الحضيض.

ها نحن اذن، أمام قلم غايته أن يطلق العنان إلى فوارة من العواطف الصادقة وهذا لعمري قوام الادب الرفيع، لو أسبغ الكاتب على قصته من الأساليب القصصية .

الأفكار كما يقول أحد أساتذتنا ملقاة في الشارع. لكن تعوزنا كيفية العرض. يعوزنا أن نعرف في أي مقام يحسن الاطناب والشرح والتحليل وفي أي مقام يحسن اللف والاختصار.

وقد رأينا في هذه القصة نموذجا من ذلك ففي مقام لف ما ينبغي نشره قول الكاتب في مفتتح قصته (عرفته في مناسبة من المناسبات العادية) فأية مناسبة عادية؟

هذه المناسبة، أيها الكاتب، يجب التمهل في سردها والإمعان في ايراد كل ما دار فيها من شارده وارده فتتجلى نفسية البطلين ويفطن القارىء إلى العبارة أو الحركة أو الصمت حيث قدحت المحبة.

قال بعضهم « الحب بدء ونهاية وأما ما بين تينك فحشو لامعنى له » فكيف تغبن البدء في كلمة فاترة كتلك !

ولعل الكاتب عندما نبه، بجانب العنوان أن قصته واقعية يقصد أنه في حل من الأساليب القصصية.

إن للخيال في هذا النوع من القصص دوره وللحقيقة دورها.

دورين مضبوطين معينين نراهما كثيرا ما يلتبسان فى عقول الناشئة من كتابنا فيظنون أن من القصص ماهو خيالى صرف ومنها ما هو حقيقى صرف. وكلا النوعين فيما نعتقد، ليس من الأدب فى شىء.

وإنما الأدب ما اعتلج فيه الاثنان نصيب الحقيقة أن تكون العواطف انسانية والحوادث محتملة.

ونصيب الخيال أن ينسج الكاتب على تلك التسدية ويطرز ما شاءت له الأحلام فيجعل من ذلك مفرجا لعواطفه وخواطره وأفكاره قال شوقى

أنا انطونيو وانطونيوانا

فدلّ، رحم الله أمير الشعراء، أحسن دلالة على سر الكاتب مع بطله، بل مع جميع أبطاله مهما كانوا حتى لو خالفوه فى الجنس، قال فلوبير: « مامدام بوفاري إلا أنا نفسى »

فالقصة إذن حقيقة يسوقها الخيال بموسيقاه الشجية.

فعنونة هذه القصة بالواقعية لا تبرر غمط المواقف الرئيسية والركون إلى تعابير أقرب إلى التقارير الإدارية منها بالديباجة القصصية .

وكذلك قوله (وينمو — الحب — على هذا الشكل الفذ بين انسانين تخالفا قلبا وقالبا)

فهذه الجملة يعقد للتبسط فيها فصل أو فصول أو تكون هى موضوع القصة فتسرد من الحوادث ويلفت نظر القاريء إلى ملاحظات ودقائق وتوافه هى فى تقرير العلاقات البشرية حواسم. حتى يقتنع ويقول من نفسه : « هذا شكل فذ، هذان انسانان تخالفا قلبا وقالبا » فيعجب أن ينشأ بينهما حب. وأما مجرد القول فلا شىء.

قال أحد النقاد : « القصة امتاع واقناع »

ومن المواضع التى ينبغى فيها الاطناب أيضا قوله :

— (أخذنى معه إلى مكان ما).

— (حصلت مشادة عنيفة بينى وبينه)

— (اتخذ ت لى خليلا)

كل جملة من هذه الجمل، تشكل، كما يقول بعض محررينا، فصلا كاملا، فتجيء القصة الطويلة.

(أخذها إلى مكان ما) فما أحلى هذه الـ « ما » فإلى أين وأي المناظر رأيتما وأيّ المواضيع طرقتما وكيف كانت ظروف الرحلة ؟

وهذه المشادة العنيفة، فأين عنفها وما القصة إن لم يخضها معك القاريء حتى تمر به الأحاسيس التي مرت بك ؟

ثم تكتب ببساطة « واتخذت لي خليلا »

إن مثل هذه الاحداث، معالم تسم الحياة وتقوم عليها ذكريات لا تبلى فلا نستخفّ بها فنلفها في كلمة عابرة.

بينما نجد التبسط..اين ؟

نجده في أن يأخذ الكاتب معنى واحدا فيمططه في إعادات كثيرة مترادفة لا طائل تحتها فيقرأ القاريء شوطا والمعنى هو هو لا يتغير بل يضعف ويأتي الملل.

نجد هذا خاصة في الثلث الأول من القصة فهو طويل ثقيل خال من التشويق يردد معنيين اثنين : تأثير الحب على الراوية وإطراء الحبيب ومن ذلك قوله :

ــ (ان بنفسه شيئا نحوي مثل ما بنفسي نحوه ثم ــ (وتكونت بيننا صداقة متينة ونشأت عنها علائق وطيدة) فهذا تكرار

وقوله :

ــ (لم يبذل ما بذل ولم ينفق ما أنفق ولم يصب ما أصاب من عناء وتعب...)

وــ (علها تتغير أو تتبدل أو تفتر أو يعتريها...) فهذه جمل تتكرر ثلاث أو أربع مرات كان تكفي منها واحدة. قال بعضهم : « إن للمعنى الواحد تعبيرا و احدا بليغا جميلا فعلى الكاتب أن يجده ويكتفي به »

وهناك مبالغات تافهة نشتهي لو يجتنبها الكاتب لأنها تضعف لتحرير من حيث يراد تقويته كقوله :

ـ (اندهش الناس كيف يتعلق النقيض بنقيضه) فمم الإندهاش؟ هل من أن تتعلق إمرأة برجل ؟!

ثم قوله :

ـ (أمر عجيب... هذا الصديق الأعجب)

هذه المآخذ التى تتلخص فى لف ما ينبغى نشره ونشر ما ينبغى لفه وشيء من المبالغة التافهة رغبنا فى التنبيه عليها لأننا نراها شائعة عند الكثير من كتابنا الناشئين فتنطمس آثارهم رغم ما تنطوي عليه من اصالة جوهرية. فانظر معي أيها القارىء إلى هذه الإلتفاتات البديعة.

ـ (إن هذا التناقض الذي يراه الناس من أسباب الجفاء هو آية هذه العلاقة)

ـ (بعد أن شبعت عفة ونبلا وصوفية)

ـ (وأظل انقم عليه لأنه لم يضربني)

ـ (أخذتني الدهشة حتى ظننت أنه احتسى... ولم يمض قليل حتى كانت العدوى قد سرت إليّ وصرت أكثر منه عبثا ومجونا)

هذه الكلمات حقائق صادقة. كل واحدة منها تلخص عوالم تتيه فيها النفس .

وبعد فإليك أيها الكاتب بعض الإرشادات إلى ما نسميه بالأساليب القصصية وهي الحوار والوصف وإبراز المواقف الرئيسية .

فالقصة خالية من الحوار والحوار هو العصب الحي الذي يطبق به الكاتب بصورة عملية تحليلاته. فإن قدم شخصا على أنه أحمق يجب أن يظهر ذلك في الحوار ثم أن الصراع الذي يتجلى في الحوار أبلغ من الحكاية. والمواضيع التي يحسن فيها الحوار هي هذه

ـ (وكل همه أن يحدثني في مواضيع عقلية بحته لا تمت بصلة إلى ما أعتقد أنه يجب أن نتكلم فيه)

ـ (يلومني برقته المعهودة)

-كلمته كلاما أشبه بالهذيان)

- (تكلم كل منا كلاما كثيرا)

- (اسمع منه ما يهدّ الكيان ويمزق الشعور)

وكذلك الوصف فالقصة خالية منه

المفروض أن الحوادث وقعت في طرابلس الغرب، في بيئة ما فكان على الكاتب أن يجعلنا نعيش برهة من الزمن في طرابلس في البيئة نفسها فنرى لباسهم وأثاثهم وسكناهم وعاداتهم وطرق معيشتهم. والوصف نراه في اول القصة في مكان التعارف ثم في مواضع الجمل التالية :

- (وكانت جلستنا بين الأشجار الوارفة).

- رأيته في منظر لم أره قط في مثله)

- (بينما كنت في البيت مع أمي...)

- واما المواقف الرئيسية فكان على الكاتب أن يبرزها ويشع عليها ويجعلها ركائز للقصة لما لها من الأهمية والخطر وهي التي تتلخص في قوله :

- و(في ذات يوم ... ارتميت على صدره وأخذني الشهيق والبكاء)

وكذلك موقف انقضاضها على الصديق النائم.

القصة حافلة بالعيون المغمورة المطوية وهي تربية عاطفية لامرأة، موضوع طريف لا نعلم كثيرا من الكتاب طرقوه بمثل هذا الإخلاص للحقيقة غير أن خلوه من الوصف والبيئة والظروف والحوار يجعلنا نحضر صراع شخصين في الظلام.

فعسى الكاتب أن يتأمل هذه الملاحظات ويأخذ ما يراه صوابا وعسى أن نقرأ له ما يمتعنا ويرفع من أدبنا إلى المستوى الإنساني الراقي

البشير خريف

هيــــــــا نمش

بقلم علي حرز الله

هيا نمش فالليل أقبل يسعى
وستور الظلام تضفي علينا
هيا نمش فالبدر أمسى مطلا
وعيون النجوم ترنو إلينا
هيا نمش فقد طوينا زمانا
في سرور، وحرقة تكوينا
قد سكرنا وما سكرنا بخمر
في كؤوس بشكلها تغرينا
قد سكرنا، وما فتحنا شفاها
لمدام، أو قبلة تروينا
قد سكرنا ببسمة وبهمس،
وبصمت، ونظرة تشفينا

• • •

ومشينا ولسنا نبصر دربا
في ظلام محجب يخفينا
ومشينا، وقد وجدنا صخورا
وقتادا بدربنا يدمينا
ومشينا بحيرة في ظلام
وضياء وفتنة تغوينا
قد رأينا في الغاب ذئبا توارى
في ازورار، وراء جذع عتيق
قد رأيناه عندما البرق جلى
لجيوش الظلام سيف بريق
قد رأيناه وهو يقدح نارا
في غرور يشق كل طريق

• • •

ووقفنا، وقد سمعنا غريباً

يتغنى بلحن عهد تليد
يرسل الشجو، وهو يذرف دمعا
كدموع من الغمام الشريد

* * *

ما رأينا، وقد نظرنا طويلا
غير شيخ معذب مكدود
غير قلب ممزق غير جسم
مثل جذع محطم مهدود
غير وجه مقطب في اصفرار
غير ثوب ممزق من عهود

* * *

أين كنا فقد نسيت مكانا
كنا نأتي لكهفه أحيانا
هل سنأتي فدتك نفسي حنانا
هل سنجني من زهره ريحانا
ما جنينا من حبنا غير شوك
هل سنشقى بحبنا أزمانا
قد شربنا كؤوسنا مترعات
من غرام مبرح أضنانا
كم صبرنا على الأشق طويلا
وعصرنا قلوبنا كتمانا
أين كنا فهذا درب طويل
قد سقانا من مره ما سقانا

* * *

هيا نمش فقد قضينا زمانا
عند شيخ تبخرت أحلامه
قد سمعنا غناءه وجهلنا
فلسفات تثيرها أنغامه
فلسفات عميقة عمق بحر
ذي قلاع تسوقها أنسامه
فلسفات غريرة مثل هطل..
في ازدحام يقودها أحكامه

أيـهـا اليشـخ مـا دهــاك لتشــكــو
هـل سـقــاك الـزمــان كـأس الصدود
أتـرى قـلبـك المعـمـر يـهــوي
أو يـصـبـو فـي صـدرك المـوصـود

* * *

أحـجـم الشـيـخ عـن غنـاه مجيبا
ذاك سـر أودعـتـه لـلـيـالـي
ذاك سـرّ، ولـن أبـوح بسـري
وطمـوحـي وواقـعـي وخـيـالي
ذاك سـرّ دفـنـتـه من زمـان
في اكـتـئـاب وفـرحـة، ومـلال
... فـسـل البـدر والنـجـوم الحيارى
وسـل الغـاب والليـالي الخـوالي
وسـل البـحـر حيـن يـرغـو غـضـوبـاً
وسـل المـوج فـي بسـاط الـرمـال
وسـل الـزهـر حيـن يحـلـم فـجـراً
وسـل النبـع فـي سـفـوح الجـبـال
وسـل الصبـح والمسـاء ودعـنـي
أتـغـنـى بلـحـن هـذا الجـمـال....

علي حرز الله

كتـب وردت الى المجلـة

- أغنية العـودة : بقلم سعد البوادري (طبعة الرياض)
- عيد في البيت : بقلم عبد المجيد لطفي (مطبعة اتحاد الادباء العراقيين)
- إرشادات لدراسة اللغات الاجنبية ترجمة الدكتور عبد الكريم طه (بغداد)
- أهداف التعليم الثانوي ومفاهيمه وفلسفته في العراق: بقلم الدكتور نوري حافظ (بغداد)
- كما أهدانا الأديب البشير خريف نسخة من قصته «برق الليل» التي ظهرت أخيرا نشكره عليها ونهنيه ببروزها.

محـــــــو العــــــــار

قصة بقلم : **الطاهر وطار**

-2-*

ما اجمل العودة ٠٠ ما اجمل الحرية ٠٠

ذلك فقط ما ظل يتردد فى خواطر بلخير منذ امتطى الباخرة عائدا الى الوطن الحبيب ٠٠ الى جلفة العزيزة الى امه الحبيبة ٠٠

وها قد عـاد ، ها هو يشق انهج القرية ، انه يـود لو يتقدم الى كل من يعترضه فيحتضنه ويقبلـه ، بل مـا الذى يمنع من تقبيل الحجارة والنخيل والتمرغ فى البساط الذهبى الذى يكسو اديم قريته ٠٠ الم يكن يتطلع الى هذه اللحظات منذ اربع سنوات ؟٠؟ لولا الحياء لفعل ذلك ٠٠

لكن ٠٠ لكن ٠٠

ها قد اوشك ان يلتقى بأمه ، اية عواطف هذه التى تعتريه اية احسأسات هذه التى تتاجج فى صدره ؟ اية حرائق هذه التى تضطرم فى دمائه ؟ ٠ ؟

انه مغترب عائد ٠٠ عائد الى امه ٠٠

ومنذ صباح الغد الفى نفسه محط رقابة مشددة من طرف الجندرمة الذين يتفقدونه صباح مساء ٠٠ عارضين عليه اما العودة الى الجندية ، واما الالتحاق بـالحـركـة ٠٠

ومنذ الغد أصطدم بالفقر المدقع الذى يتخبط فيه ابناء جلدته ٠٠ والمجاعة التى يتضور منها قومه باستثناء من كان منهم فى الحركة ، او بعض الاثرياء الذين يتجاوز عددهم عدد اصابع اليد ٠٠

ومنذ الغد ايضا تجلى له الجو المكهرب الذى تعيش فيه جلفة ٠٠ العسكريون اكثر مـن المدنيين ٠٠ رجال الحركة يسومـون اخوانهم مر العذاب والهوان ، وينكلون بهم سوء التنكيل ٠٠ الحديث بين الناس لا يجرى الا همسا ٠٠ الخوف والرعب يسودان الجميع ، عساكر ومدنيين ، الثقة تكاد تكون منعدمة ٠٠

اى وجود هذا ؟ ٠ ؟ واية حياة هذه ؟ ٠ اى معنى للبقاء ها هنا ٠ ؟ ٠ اى واقع هذا الذى كان لا يتصوره ٠ ؟ ولم ينس القسم الذى اقسمه والعهد

* راجع الفكر ـ السنة 7 ـ العـدد 2

الذى أخذه على نفسه ٠٠ لم ينس ذلك ، لم ينس ٠٠ بل ان كل ما يحيط به يذكره ويصرخ فيه الجبل الجبل ، الثورة الثورة ٠٠

وفى الليل حين ضمه الكوخ ، واستلقى فى الفراش الى جنب امه العجوز ، سألها بصوت خافت عما **تعرف** عن المجاهدين ٠٠ فحدثته طويلا ، بما تعرف وما لا تعرف مثل : آنشقاق الارض كلما حاصر العدو المجاهدين **ودخولهم الى القرى والمدن فى** صور اكباش او غيرها من الحيوانات ، والا كيف **يستطيعون** ان يعدموا فى وضح النهار ثم يختفون ، فلا يعثر لهم على اثر ؟ ؟ اما اسلحتهم فانها على كل شكل ولون ولديهم حتى الطائرات فقد سقطت فى احدى المعارك طائرة فى عرض دوار ، قال العسكر انها للمجاهدين ٠٠

ولما انتهت من كلامها الذى ظلت تنتظر عودته حتى تحدثه به ، فليس هو وحده الذى رأى وسمع الغرائب والعجائب فى ارض الهند الصينية ٠٠ قال لها بصوت خافت هادىء :

ـ امى ، يجب ان التحق بالثوار ٠٠

ودون ان يترك لها فرصة لتقاطعه اردف :

ـ والا ان التحق بالحـركـة ٠٠

ـ لعنة الله عليهم فى الليل اذا يغشى و النهار اذا تجلى

بادرت امه حالما تلفظ بهذا الاسم الذى يعرف كل جزائرى كم هو **بغيض** ٠٠ الحـركـــة ٠٠

فواصل كلامه قائلا :

ـ او ان اعـود الى صفوف فرنسا ، لاحارب المجاهدين ٠٠ هذه الحلـول الثلاثة لا بد من احدها ؟ ما رايك يا أمى ؟٠؟

فهمته العجوز ، فهمته جيدا ، الا انه شق عليها ان تعطيه رأيها ، **ان تقول** له : اذهب عنى اهجرنى ، سواء الى الجبل او الى الحركة البغيضة ، او الى صفوف فرنسا ، ليقاتل اخوانه المجاهدين ٠٠ فاثرت الصمت وتركت له الخيار تركت مسؤولية الفراق تقع على كاهله ، حتى لا تقول ذات يوم ، لقد قذفته بنفسى ٠٠ تركت له الخيـار وقد آختـار بعد ٠٠ اختـار السير فى الـدرب التى سلكها شعبـه البطـل ٠٠

بيد ان المشكل لا ينحصر فى هذا النطاق ، **نطاق الاختيار** ٠٠ انما يتمثل

فى كيفية البدء فى هذا الدرب كيف يصل الى الثوار ؟ ومن اين يستطيع اللحاق بهم ٠٠ وانه لمشكل جد عويص ٠٠ وجد عسير ٠٠ اكثر مما يتصور ٠

فمن ذا الذى سيثق بك يا بلخير ٠ ؟ ٠ انت الذى لم تعد الا امس من الجندية ؟ الجندية التى بعت نفسك فيها بيعا ؟

ومن ذا الذى يمكنك ان تثق به انت يا بلخير الذى لا تعرف عن الحياة فى بلادك شيئا ٠ ؟ ٠

وفوق هذا وذاك ، كيف تتخلص من الرقابة المضروبة حولك ٠ ؟ ٠

القى بلخير هذه الاسئلة على نفسه ، وقبل ان يجد اى جواب حاول ان ينال قسطا من الكرى الذى يثق انه لن يزوره ليلتها الا بعد ان يعيش مرارة عمر كامل ٠٠٠

* * *

وفى 19 ديسمبر 1959 اى بعد عودته باسبوع الى جلفة التى طالما حلم بالعيش بين احضانها وتاق الى العودة اليها كان بلخير ، فى مركز (عين وسار) العسكرى يرتدى البزة العسكرية ، والحذاء الخشن ، وعلى كتفيه الخرقتان اللتان ترمزان الى رتبته العسكرية ٠٠ سارجان

لقد باع نفسه مرة اخرى ٠٠ لمدة سنتين ٠٠

وها هو فى المركز العسكرى يقوم بواجباته ، كأخلص جندى ، بل كأخلص ضابط بيد انه مع كل اسف لا تتمثل واجباته ، الا فى الخروج مع الدورية التى تجوب القرية بين آونة واخرى ٠

هذا هو كل ما يعهد اليه القيام به ، هذا هو عمله الذى يدرك المغزى الذى يرمى اليه الضباط ٠٠ انه يعرف جيدا العقلية التى يفكر بها الفرنسيون ٠٠ الم يقض زهرة عمره بينهم ؟ ٠ ؟ لكن ماذا يسعه ان يفعل ؟ ٠٠ يعرف انه حين يخرج مع الدورية يجوب القرية ٠٠ انما يرمز الى ان الجزائريين ايضا فى السلطات النظامية ، وان الجزائريين يناهض قسم عظيم منهم التمرد والعصيان ٠٠ لكن ليس فى وسعه وقد باع نفسه عن طواعية الا ان يمتثل لكل الاوامر ويقوم بكل ما يطلب منه ٠٠ ليس فى وسعه الا – ان يفكر وفى سره فقط كيفما بدا له وان يسخر ممن يشاء حتى من نفسه ٠٠ ايه من نفسه

وليسخر ، ليسخر ، ليملأ الدنيا سخرية، دنيا سره، دنيا ما تحت الغطاء، حين ينام ٠

ليسخر من هؤلاء الذين يتباهون به ، بوجوده بينهم فى صفهم ولكنهم لا

يستطيعون الا ان يستعرضوا به فقط ٠٠ اما ان يمنحوه السلاح ويدفعوه الى ساحة الوغى ليكون فى صفهم ، فلا ٠٠ ان يرقوه فى رتبته التى جمدت منذ اربع سنوات فلا ، ايضا

لكن ليس بعد السخرية اى عمل ، على الاطلاق ٠٠ آنه محاط برقابة يقظة ٠٠ ليس حوله الا الجنود الفرنسيون ٠٠ فمهلا ، مهلا ٠٠ وليتحين الفرص

ومر ربع المدة التى بأع فيها نفسه ، ستة اشهر كاملة انسلخت ، دون ان يحدث جديد ٠٠ دون ان تواتى الفرصة ؟

يا لهذه الفرصة التى طال ترقبها ٠ ؟ ٠

كيف تواتى الفرص يا ترى ؟ اتخلق من تلقاء نفسها لكى تسمى فرصا ؟ نعم ولكن اذا لم توات ولم تخلق من تلقاء نفسها هل نظل نترقبها فقط ؟ ؟ قد نترقبها سنوات وسنوات ، ولكن دون جدوى ؟ اذن ٠ ؟ ٠

اذن على المرء ان يخلق الفرص خلقاً ٠٠ عليـك يـا بلخير ، ان تبحث كيف تخلق فرصة تنفذ فيها ارادتك ولو كلفك ذلك ما كلفك ٠٠ اى نعم

ولكـن كـيـف ٠ ؟ ٠

وتحولت السخرية من الضباط الى السخرية من نفسه ، من غباوته ، من تسرعه فى بيع نفسه ، من عجزه عن خلق فرصة ٠٠ ثم تحولت الى التبرم من نفسه ، مـن وجوده ، من حياته من القيود التى كبل بها نفسه ٠٠ وشعر بان ايامه ولياليه ما تنفك تشدف وتدلهم ٠٠ وضاقت نفسه ، فلم يعد يرى الا الحلول الانتحارية ٠٠ حلول اليأس القـاتل ٠٠ فتارة يخطر له ان ينهض فى الليل ويحمـل البندقية ويتسلل الى الباب فان اعترض سبيله معترض تخلص منه ومن نفسه ، هذه العاجزة الحائرة المتداعية ٠٠ وتارة اخرى يخطر له ان يلتفت الى مـن معه فى الدورية ويطلق عليهم النار ثم يطلق ساقيه للريح فن نجا فحبذا وآلا فالراحة الابدية اولى من وجود لا ينطوى الا على العدم ٠٠ واخرى يفكر فى ان يرتدى لباس ضابط من الضباط الكبار ، ثم يمتطى عربة ويفر ، يفر الى الجبل ٠٠ الدرب الذى اختاره شعبه فاختاره هو بدوره عن وعى ، وعن ادراك ٠٠ وبينما هو كذلك يتخبط فى دياج كالحات ، لا امل فى نور يومض ، حتى حلول اليأس لم يتجاوز نطاق راسه ، نطق سره ٠٠ بينما هو كذلك اذ بالمعجزة تقع ٠٠ نعم وقعت المعجزة فجأة ٠٠٠

فقد نودى باسمه واعلم انه تقررت نقلته الى (بوحجار) ٠٠ وانه سينقل عمـا قـريـب ٠٠

اسرع بلخير الى الخريطة ووقف امامها يتمل ، باحثا عن موقع بوحجار ، وبعد برهة تمتم :

ــ هذا الشرق، آه هذه سوقاهراس شمالها قليلا ، فنيلامع هذه السلسلة من الجبال الشامخة ، سلسلة الاطلس الاشم ٠٠ يا لهذه الجبال كم هي كثيفة ، كم هي كبيرة ٠٠٠ ترى كم يوجد فيها من الثوار ٠ ؟ ٠ ؟ ٠

ثم هتف من اعماقه :

ــبوحجار ٠٠ بوحجار ٠٠ يا للفرصة

* * *

وهناك بدت المهمة اول الامر شاقة الى حد الاستحالة ، انها هامة حقا ولكنها شاقة

انشدح ابن عالية في الفراش : تبن عليه بساط قطني رث ٠٠ لا غير في الليلة الثانية من وصوله الى مركز بوحجار وراح يفكر : المسلمون هنا كثيرون ، كثيرون جدا ، كيف سمح لهم ان يجتمعوا بهذه الصفة ٠ ؟ ٠ ام هل انهم من الموثوق بهم ، من بائعي ضمائرهم ، من الخونة الميئوس منهم ؟ لكن انا ٠ ؟ ٠ كلا ، كلا ، قد اكون من الموثوق بهم من بائعي ضمائرهم في نظر الفرنسيين ، حتى في نظر البعض من اخواني ٠٠ لكن انا ؟ ٠ ؟ هل انا كذلك ٠ ؟ ٠ لا ، ، لا ، ٠٠ ربما ارسلوا من عين وسار الى جلفة يسألون عن ماضي فوجدوه كما يشتهون فأرسلوني الى بوحجار على انني من الموثوق بهم ٠٠ من يدري ؟ وكذلك الشان بالنسبة لزملائي ٠٠ الا انه اذا كان الامر كذلك فانني سانجح في مهمتي

كم هي شاقة هذه المهمة ٠٠٠٠٠

ان الفرار سهل جدا ، ولكن هل لفراري وحدي معنى ؟ لم لا يفر معي هؤلاء الجنود ؟ ما الذي يمنعهم ؟ ألم يفكروا قط في هذا الامر يا ترى ؟ من يدري ؟ ؟ ؟ ان ما يجعل مهمتي شاقة هو جهل اجوبة هذه الاسئلة ٠٠ فان بحثت عنها **بين زملائي** قد تكون هي رميي بالرصاص من طرف الفرنسيين،او هي ارتياب زملائي في امري ٠

انني شخصيا لا استطيع ان امنح ثقتي لاي كان ، فكيف اطلب من غيري ان يمنحني ثقته ؟ انني واحد منهم بائع نفسه ، متطوع في الجيش الفرنسي في ظروف كالحة بالنسبة لشعبه ، لقد مرت اربع سنوات كاملة على الثورة دون

ان التحق بها فى حين ان فرار اخوانى يتواصل منذ البدء ٠٠ ان الشاب الذى حدثنا عن الثورة فى الباخرة ليلة حللنا بوهران عائدين من الهند الصينية لا اخاله الا انه التحق بها اثناء تلك الليلة نفسها ٠٠ اجل ، وما كلامه ذاك الا عرض للفرار لمن يفكر فيه لولا غباوتى لكنت الآن الى جانبه ٠٠ لكن آنذاك لم اكن افهم شيئا ٠٠ يرموننى بالذكاء ، ولكننى عكس ذلك ، عكس ما يتوهمون ٠٠ غبى ، غبى ٠٠ اربع سنوات كاملة لم استطع ان افر فيها

يجب ان افر ، ينبغى ان يتم ذلك فى اقرب فرصة ، كلا ، انما فى اقرب وقت ، وبصفة تبقى تاريخا ودرسا للمترددين ٠ نعم الف نعم

ورويدا رويدا تسلل الكرى الى بلخير ، فانتشله مما يعانى من صخب الافكار المضطربة اضطراب الموج فى يوم عاصف

* * *

لقد اوشكت ، اوشكت يا بلخير على النجاح الباهر ، لم تبق الا ايام قلائل ويتم كل شيء ٠٠

مرحى ، مرحى ، نحن الآن فى عشرين ، على فكرة واحدة ، والبرنامج مسطر لم يبق الا التنفيذ ، غدا بعد غد ، على اية حال عما قريب ٠٠

كان ذلك كل ما يجول بخواطر الشاب بعد نصف شهر من استقراره فى بوحجار ، فقد استطاع ان يكتشف خبايا صدور زملائه ، ويكشف لهم بدوره عما اقر العزم عليه ٠٠

الا انه لم يكد ذات يوم ان يختلى باحد زملائه الذى قال له :

ـ بلخير ، متى ٠ ؟ ٠

ـ يجب ان لا نتسرع ، صبرا جميلا

ـ يكفى ما صبرنا ، قل لى ماذا ننتظر ؟ الا نخشى انكشاف الامر ان طال تلكوءنا ؟ ؟

ـ ماذا تريد ان نفعل ؟ لقد اتفقنا على ان يتم الامر اثناء خروجنا مع القافلة فى احدى العمليات ، ولكن انت ترى ان القافلة لم تخرج بعد وبمعنى اوضح لم يصادف ان خرجنا جميعا مع بعضنا فكل مرة لا بد ان يتخلف البعض ٠ اعتقد انه ينبغى تغيير البرنامج من الاساس ان نفكر فى طريقة اخرى : نسف المركز مثلا ، وقتل من به ٠٠ ما رايك ؟

ـ أنها فكرة رائعة ، يا لها من فكرة ولم لم نفكر فى هذا قبل اليوم ؟ انا من جانبى اقتسم معك هذا الرأى ، واظن ان الاخوان ايضا سيؤيدونه ، المهم هو ان نسرع قبل ان يتسرب الياس والشك الى نفوسنا قبل ان يرتاب بعضنا فيك

ـ ماذا تقول ، ان يرتاب بعضكم فى ؟ عجبا ٠٠٠

ـ لاننا نريد منك ان تبرهن لنا على حسن نواياك ، اليس لنا الحق فى هذا؟٠

ـ اطرق بلخير هنيهة ثم رفع رأسه قائلا :

ـ ما دام الامر كذلك ، فانه يجب ان ننفذ برنامجنا الليلة، الليلة بالذات٠٠ وساقول لكم فيما بعد كيفية نسف المركز ، والفرار الى غير ذلك ، استعدوا ، يجب ان يبرهن كل واحد على نواياه ، وعلى مشاعره الوطنية بالفعل، لا بالقول هذا امر معقول جدا بل هذا هو الواجب ، ينبغى ألا نتسامح مع اصحاب النوايا الطيبة ، مع الوطنيين بالنيات ٠٠ ألا ننخدع بكلامهم واحلامهم قط ٠٠ العمل ليكن ذلك هو شعارنا جميعا ، البرهان ، ليكن ذلك هو كلمة السر بيننا

لم يكد بلخير وزميله ينتهيان الى هذا الحد ، حتى انتهى الى مسمعيهما هذا النداء :

ـ مساعدية بلخير ؟ ؟ مساعدية بلخير ؟

ـ حاضر

اجاب بلخير ثم اسرع الى مصدر النداء حيث اعلم بانه نظرا الى قلة الاطارات فى المراكز الاخرى ونظرا الى اخلاصه تقررت نقلته الى مركز آخر ٠ ؟ ٠

وقع الخبر خبر النقلة ، فى نفس بلخير ، وقع الصاعقة ، حتى انه لم يستطع ان يخفى ما استولى عليه من استياء ولم يتمالك من القول ، فى شبه ذهول :

ـ متى ؟ ٠ ؟

ـ ماذا بك بلخير ما الذى دهاك ؟ ٠ ؟

ساله الضابط فى مكر ، فاستفاق من ذهوله واجابه :

ـ اقول لك الحقيقة ٠٠

ـ اية حقيقة ٠ ؟ ٠

ــ اننى غير مسرور بهذه النقلة ، لقد تعودت بكم ، ولا اظن اننى ساجد امامى مثل هذا الجو ، اننى مستاء لفـراقكم

ــ اوف ، ستجد امامك دائماً من يحبونك ، ان ملفك انظف ملف لجزائرى وقع بين يدى حتى الآن ٠٠٠

ــ متى ستتم نقلتى ٠ ؟ ٠

ــ الآن ٠٠

خرج بلخير من لدن الضابط الذى بلغ اليه النبأ المشؤوم مكتئبا وفى طريقه الى قاعة النوم لاحضار حقيبته تاهبا للرحيل ، التقى بزميله الذى كان يتحدث معه قبل لحظة عن نسف المركز والفرار ، فبادره :

ــ ما الذى يريدونه منك ٠ ؟ ٠

ـــما هذه اللهجة التى تخاطبنى بها ؟ ٠٠

ــ لان الحقيقة التى تخفيها تجلت لكل احد ٠٠٠

ــ اية حقيقة ؟ لقد طلبونى ليبلغونى امر النقلة حالا ، اية حقيقة ؟ ؟

ــ ايهـا العمـيـل ٠٠٠

ــ اتقولها ٠ ؟ ٠ الم تتعاهد ؟ من الذى القى فى رؤوسكم فكرة الفرار ٠ ؟ ٠ هيا ، اتريدون ان نخرج الآن ٠ ؟

ــ ابحث عن ضحايا آخرين ، ايها العميل ٠٠

قالها زميله جافة صريحة ، ثم مر فى سبيل حاله كأن شيئا لم يكن ٠

* * *

بعد اربعة ايام قضاها بلخير فى مركز (هنشير الحديد) يردد :
ما اشبه الليلة بالبارحة ، ها قد انهار كل شىء ، كل ما بنيناه ، كل ما بنيته ٠٠
ها قد اصبح لزاما على ان ابدا من جديد كما لو انى البارحة فقط حللت بمركز عين وسار ، او بمركز بوحجار ، كل ما مشيته يتحتم ان ارجع فامشيه ، وكل ما قاسيته يتحتم على ان ارجع فاقاسيه ٠٠

ربــــاه ٠ ٠

ما اشبه الليلة بالبارحة ، ولكن لست ادرى كيف ستكون النهايــة هــذه المرة ؟ • ؟ وما ستكون عليه النتيجة ؟ اهى النجاح ام الفشل الذريع ؟ لا ، لا ، لن افشل هذه المرة •• فقد تعلمت اشياء كثيرة ••

وفى مساء اليوم الرابع ، طلب الكولونيل الكورسيكي بلخير ، وحين مثل بين يديه فحصه بعينيه الضيقتين ثم امره بالجلوس قربه وبــادره :

ــ مساعدية بلخير • ؟ •

ــ تحت طلبكم

ــ اتعرف لماذا نقلت الى هنا ، ام لا ؟ •

ــ كـــلا

ــ حسنا لقد فر من المركز الذى كنت به تسعة عشر جنديا ، اولئك هم الذين وشوا بــك واتهموك بأنك تفكر فى الفرار ، لقد تخلصوا منك بهــذه الطريقة ، افهمت • ؟ • انك تحمل ملاحظات حسنة من جميع الضباط الذين كنت معهم حتى من ضابط المركز الاخير الذى جئت منه ، انما ابعدوك فقط لكى يعتبر بك غيرك •• مهما يكن فانا مسرور جدا بوجودك هنا •• واشكرك باسم فرنسا على الخدمات التى قدمتها •• واخيرك بين الذهاب الى خط شال او الى خط موريس • ؟ •

فكر بلخير قليلا ثم قال :

ــ اريــد ان اذهب حيث الحــرب متفــاقمة ، حيث استطيــع ان أقــوم بعمل حقيقى ••

ــ خط شال اذن •• سارسلك الى السرية السادسة ، شكرا بلخير

تلقى بلخير الشكر ، ثم غادر مكتب الكولونيل وهو يتمتم :

ــ لقد غدروا بى منحتهم ثقتى ولكنهم هزأوا بى ، سخروا منى ، رباه •• يا لهذه القسوة ، يا لهذا الدرس يعلم المرء غيره شيئا ، لكى ينقلب ضده ، ما الذى علمتهم انا ، اقل شيء علمتهم اياه هــو كيف يفكرون فى الالتحــاق بالثورة ولكنهم تخلصوا منى ثم التحقوا •• عجيبة •• ترى ما الذى دفعهم الى اساءة الظن بى • ؟ • ما بدا لهم من تردد بلا شك •• اننى فى الحقيقة لم اتردد، انما كنت اهيى ضربة قاصمة للعدو، علمتهم كيف يمحى العار، فالصقوا بى العار •• لقد فهمت ، انهم ليسوا ثوريين كما ينبغى ، تيقظت مشاعرهم

الوطنية فقط ، فانتفضوا،الثورة شيء والانتفاضة شيء آخر،الثورية هي التفكير والسلوك معا اما الانتفاضة ، فهي سلوك اندفاعي احمق لا غير٠٠الثوري هو من يستطيع ان يعرف اخاه مهما كانت الظروف ٠٠ الثوري هـو من لا ينخـدع بمجـرد الوهم ٠٠

تـرى كيف كان فـرارهم ٠ ؟ ٠ قـد التقى بهم ذات يوم فاعرف الحقيقة ، ويعرفون ايضا حقيقتي ٠٠ اللهم عجل بلقائنا ٠

* * *

تم التحاق بلخير بالسرية السادسة التي يقودها القبطان دي فيلان ، وفي اليوم الاول من التحاقه ، طلبه القبطان وبعد ان رحب به واكد له سروره بان يكون في سريته مخلص مثل بلخير اضاف :

ـ ساكون فصيلة مـن المسلمين فقط ، بقيادة السوليطنـان ، بيرتي ، ومساعدتك انت ٠٠ ان لي الثقة المطلقة في اخلاصك بلخير ٠

خرج بلخير مسرورا جذلان ، انه المسلم الوحيد من ضمن اطارات السرية كلها ، ولو ان رتبته لم تتغير ، فبالرغم من الملاحظـات الحسنة التي دبج بهـا ملفه ، وبالرغم من اطراء كل ضابط عمل معه له فانه بقي سرجان ٠ ؟ ٠

اتصل ببيرتي ثم ببقية الجنود الجزائريين وبالحركيين الذين لم يكونوا يقومون الا بالاعمال الثانوية والشاقة ، وبدأ في عمله ، او بالاحرى في عمليه : مساعدة بيرتي في تسيير الفصيلة والتزلف اليه لكسب مودته وثقته ، واختيار العناصر الصالحة التي يعتمد عليها ٠٠

وخلال الشهر الاول الذي انصرف في الخروج لاعمال التفقد والمراقبة تارة خارج الخط وتارة اخرى داخله ، فرغ بلخير من عمليه معا ، استولى على ثقة بيرتي وفهم جميع زملائه الجزائريين الطيب منهم والخبيث ، المغفل منهم والفطن من تمكن مصارحته والاعتماد عليه ، ومن يجب الحذر واخذ الحيطة منه

ولم يبق الا الشروع في العمل الايجابي ، باسرع ما يمكن ، وقـد شرع فعلا في هذا العمل

كان الوقت الثالثة بعد منتصف ليلة خرجوا فيها الى جبل بوجابر لنصب كمين لما قد يكون من ثوار ، وبينما استغرق بلخير في تفكير عميق ، شجعه عليه عليه الظلام الدامس الذي يلتف الكون في ردائه ، والسكون العميق الذي يغلف ما حوله ٠ كانت افكاره في الواقع منحصرة في امر واحد : آه ، ما انسبها

فرصة للفرار ٠٠ماذا لو يتسلل بين تنك الاشجار والصخور ؟ لا احد يستطيع ان يتبينه او يحاول اللحاق به ومطاردته هل يعقل ان تضيع هذه الفرصة سبهللا ٠ ؟ ٠ أليس من الجدير اغتنامها ٠ ؟ ٠ لكن الامر لو كان يقتصر عليه وحده لحل المشكل وانتهى الامر لقد اهتدى منذ زمن بعيد الى ان فراره هكذا وحده وبدون اية هدية يقدمها للثورة ، ولو عملية صغيرة ، ولكنها بطولة لا معنى لها انما الاخرون ، هؤلاء الاخرون الذين معه ماذا يدور بخلدهم انهم يتظاهرون له بالود ، ربما يحبونه حقا ، فهو طيب معهم الى اقصى حدود الطيبة ولكن هل يخطر لهم ان ٠٠ يـ ٠٠ لـ ٠٠

وقبل ان يتمم الكلمة الاخيرة ، انتهى الى سمعه صوت الكابران حبايبية يقول همسا وهو يزحف على بطنه نحوه :

ــ بلخير ، اصغ الى يا سرجان ٠٠

ــ ماذا هناك ؟ هل لاحظت شيئا ٠ ؟ ٠

ــ ماذا تعنى ، العصاة ٠ ؟ ٠ يقين انهم لن يمروا من هنا ٠٠ فوقتهم فات ٠٠ انهم لا يمرون الا اول الليل ٠٠ لكن

ــ لكن ماذا ٠٠٠ ؟

ــ الـزبير ٠٠

اقترب منى ، ادن ، ماذا به الزبير ٠ ؟ ٠

ــ انه يفكر فى الفرار ، لا بد انه يحاول الآن ، او على الاقل يفكر فى المحاولة ..

ــ هاه ٠٠ كيف عرفت ذلك ٠ ؟ ٠

ــ لقد راقبته طيلة النهار ، ففهمت ذلك ٠٠ انه يتحدث ولكن ما ان يبصرنى حتى يكف او يغير موضوع الحديث ٠٠ والليلة ، الليلة بالذات ، حركاته لا تبشر بخير ٠٠

ــ شيء جميل ، فائق ، رائع وخارق للعادة ٠٠ ولكنّ قل لى ما الذى يهمك انت من الزبير او غيره ٠ ؟ ٠

ــ اجاد انت يا سرجان ؟ اجاد فيما تقول ؟

ــ اسمع ، ما رايك فى ان نفر نحن ايضا معه ٠ ؟ ٠ اما ترى ان الفرصة سانحة ؟ لم لا نمحو العار ، ونتخلص منه ؟

ــ اجاد انت يا سرجان ؟ اتعنى ما تقول ؟ . ؟

ــ نعم ، انفر معا ؟

ــ كلا يا سيدى ، واصارحك باننى ذاهب حالا لاخبر السيد بيرتى .. نعم نعم ، لقد كنت اثق فيك .. يا سرجان

ــ اسمع ، تعال هنا ، اننى لو كنت فارا حقيقة لن اترك لك الفرصة لاخبار السيد بيرتى . ؟ . هات يدك ، اننى اشكرك جدا على اخلاصك هذا ، على وفائك هذا ، على فطنتك وتيقظك هذين .. اننى فى حاجة الى امثالك .. كن مطمئنا لن يستطيع اى كلب الفرار ، أننى لم احصل على رتبة سارجان الا بعد اعمال تعجز طيلة عمرك عن القيام بنصفها..اسمع اطلب من الزبير ان ياتى الى حالا..

ــ الاولى ان تحرسه بنفسك يا سرجان ، ان له اخا مع العصاة ، ان هذا وحده يكفى لشنقه ..

لما استلقى الزبير بالقرب من بلخير وراء الصخرة ، صمم على انكار ما نسبه حبايبية اليه ، مدعيا ان بينهما حزازات قديمة ، وانه لم يفكر قط فى الفرار ..

وعبثا حاول بلخير ، ان يتحصل على ثقة الزبير ليلتها فاخفى امتعاضه ، واجل الامر الى المستقبل القريب .. مكتفيا بالخيط الاول الذى عثر عليه ..

* * *

وعلى الساعة الثانية عشرة من نهار الغد عادت الفصيلة الى المركز ، فكان اول ما قام به بلخير ، ان بلغ امر حبايبية والزبير الى القبطان ، خشية ان يسبقه الكابران بذلك ، مؤكدا انه يثق الثقة المطلقة فى الزبير ، وان حبايبية انما يسعى فقط الى لفت الانظار اليه ، وليرقى بالتالى

امر القبطان باحضارهما معـا ، وبعد بحث خفيف قال فى لهجة صارمـة :

ــ لا اريد الاساطير العربية فى السرية ، ابدا ، منذ اليوم ، افهمتم . ؟ .

وشعر الزبير منذ تلك اللحظة بميل غريب نحو بلخير ، وانشغل بالتفكير فى امره .. من يكون يا ترى ، هذا السرجان ؟ انه ليس بمجرد متطوع ، بائع ضميره ونفسه..ابدا ليس بلخير كذلك ؟ انما هو مجاهد ..مجاهد مثل اخيه يرتدى اللباس الفرنسى .. يختفى به

رباه ، لو تصدق هذه الظنون ، لو ان آماله فيه لا تخيب ٠ ولكن اية آمال يعلقها عليه ؟ آمال عراض فى الواقع ٠٠ آمال كبرى ٠٠ انه رفيق ٠٠ ونعم الرفيق مساعد قائد الفصيلة ٠٠

بيد ان الحذر مطلوب ، والحيطة ضرورية ٠٠ اذن فلينتظر حتى يتجلى الامر ، ويقين ان بلخير سيقوم ببادرة ان كان حقا صادقا فيما ادعاه البارحة ٠٠

وفعلا كان الامر مثل ما خمن الزبير ، فقد ناداه بلخير فى مساء ذلك اليوم، وعرض عليه اصطحابه فى نزهة قصيرة ، فلبى شاكرا مغتبطا ٠٠

وعلى مسافة مائة متر تقريبا عن المركز ، وكانت اشعة غزالة الاصيل ، تخترق اغصان الاشجار المتكاثفة المتشابكة ، وتنعكس على اعينهما ، وهبات من نسيم عليل تتموج بين الفينة والاخرى فتداعب وجهيهما ٠٠ وتحرك فى راسيهما ، خواطر شتى ، وافكارا مختلفة منها ما يتصل بالماضى السحيق ، وذكرياته المرة والعذبة معا ٠٠٠ ومنها ما يتصل بالحاضر وما فيه من مخاطر وصراع يعنف تارة ويلين اخرى ٠٠ ومنها ما يتصل بالمستقبل الغامض المجهول وما يكتنفه من اسرار ومخاوف ٠٠ ويخبئه من مفاجئات ٠٠ الله وحده اعلم بها ٠٠٠

بعد اطراقة قصيرة قال بلخير :

ــ الزبير ٠ ؟ ٠ ؟ ٠

ــ بلخير ٠ ؟ ٠ ؟ ٠

وفى نظرة باهتة التقت عينان عسليتان ٠٠ عينا بلخير ، اللتان طالما احبتهما العجوز الفرنسية وعشقت جمالهما

وعينان بنيتان يتطاير منهما الحذق ٠٠ عينا الزبير ٠٠ لم تطل كثيرا تلك النظرة ، فقد مد بلخير يده وتناول يد زميله قائلا :

ــ الاولى ان نتعاهد قبل كل شيء على ان يحفظ كلانا سراخيه ، مهما كانت الظروف ومهما كان هذا السر ٠٠ باسم الجزائر ، باسم الجهاد ، باسم ما نبذله فى سبيل محو العار اعاهدك على ان يظل سرك مدفونا فى صدرى ٠٠

ــ بلخير ٠ ؟ ٠

ــ الزبير ؟ اننا اخوان ٠٠ اتعاهدنى ٠ ؟ ٠

ــ باسم الجزائر ، باسم الجهاد ، باسم ما نبذله فى سبيل محو العار ، اعاهدك على ان يظل سرك مدفونا فى صدرى

ـ اتعرف اذن ما ينبغي ان نفعله ٠ ؟ ٠

ـ ان نفر طبعاً ٠٠٠

ـ كلا لو انالامر يقتصر علىالفرار لهان٠٠ولحلالمشكل٠٠انه ليس صعبا ان نفر منذ الآن ، فقط ان نذهب بين هذه الاشجار ولا نعود ٠٠ انما ٠٠ انما ٠٠ ان لا نفر وحدنا اولا ، وثانيا ان نمحو العار بعملية يسجلها لنا التاريخ في صفحاته الذهبية ٠٠ افهمت يا اخي ٠ ؟ ٠ ينبغي ان نقنع كل من نستطيع اقناعه بوجوب الفرار ، ومحو العار وبعد ذلك نرتب الامر ونسطر البرنامج والشيء الذي ينبغي ان نجعله نصب اعيننا هو السرعة ، لان التجارب علمتنى ان الروح الوطنية اذا استيقظت دفعت صاحبها الى الطفرة والانتفاضة ، وقد لا تكون هذه الطفرة منظمة ، فتعود بالضر من حيث كان يرجى منها النفع ٠٠ افهمت ٠ ؟ ٠ يجب اختيار الرفيق قبل الطريق ـ كما يقول المثل ـ وحين يتم اختيار الرفيق ٠٠ اخضعه للتجارب : لا تظهر له جدك من عبثك وهزلك ، ولاحظ رد فعل الصراع الذي يعيشه وادرس جيدا مبادرته ٠٠ افهمت

ـ اى ثورى انت ٠٠ لكن قل لى ما هى ثقافتك ٠ ؟ ٠

ـ ان ما اقوله لك فقط اكتسبته من التجارب من مدرسة الحياة ، اما ثقافتى فانها حصيلة ثلاث سنوات فى المدرسة ٠٠

ـ اما انا فاننى متحصل على الجزء الاول من شهادة البـاكلوريا ، لقد صدق من قال : اسأل مجربا ولا تسأل طبيبا ٠٠ ان شعبنا له فلسفة عبقرية ، اما ترى ان كل ما نظنه جديدا واكتشافا من طرفنا ، نجده معبرا عنه من طرف شعبنا حقاً ان الفلسفة من صنع الشعب لا من صنع الفلاسفة ٠٠٠

ـ المهم ان نفهم بعضنا ، ان نفهم ما نفعله ٠٠

* * *

ما اشبه الليلة بالبارحة ٠٠ الانتظار ٠٠ الانتظار ٠٠ الذى قضى على خطتك يا بلخير فى بوحجار ، هو الذى تتخبط فيه الآن ٠٠ ما ابشع الانتظار ، ما اشقه على النفس ، ابدا اصعب شيء فى الحياة هو الانتظار٠٠اخى ما امرن هذه الكلمة ٠٠ الانتظار ،

ان التمهل يليق فى ظروف دون اخرى فى الظروف الثورية الانتظار لا يليق انما يضر الى اقصى حد، فى الحروب وفى الثورات ينبغيالاتقان مع السرعة ٠٠ تلزم الثائر والثورى روح المبادرة ، روح السرعة

رباه ، ما اقسى ما يعانيه الانسان حين يتفطن الى ان الليلة هى نسخة من البارحة .. كم يعتريه السام والضجر وكم تضيق بـه الدنيا بما رحبت .. وها انك بعد مرور شهر على العهد الذى قطعته على نفسك يا بلخير ، باسم الجزائر ، وباسم الجهاد ، وباسم ما تبذله فى سبيل محو العار ، هذا العار الذى يلازمك كظلك هنا وهناك ، هذا العار الذى ما يفتا ينغص حياتك منذ بـرزت الى الحياة هذا العار الذى كلما اوشكت ان تمحوه ، ازداد التصاقا بك ازداد امـده امتدادا ..

ها انك يا بلخير تنتظر

فما اشبه الليلة بالبارحة ، الاخوان يسودهم القلق والارتياب ، وتعتورهم الوساوس والهواجس وربما تسرب اليهم الشك فى امرك ، وانه آن لهم ان يقولوها صريحة جافة .. ايها الخائن ، ايها العميل .. لقد فهمنا حقيقتك .

لا ، لا .. مائة مرة الف لا لن تطيق سماعها هذه المرة ، لن تمنح لاى كان الفرصة لكى يقولها لك جافة صريحة ايها العميل ايها الخائن .. انك لست كذلك وعليك فقط ان تبرهن عـلى نوايـاك .. اى نعـم .. وستبرهن .. سابرهن عما قـريب ، الليلـة ، هذا المساء ، الليلـة ، الآن .. الآن .. توا .. توا .. حالا .. لاذهب فابلغ الى الاخوان التسعة امر الاستعداد ، لنسف المركز والفرار الآن ، وفى وضح النهار .. انهم تسعة ، فليقوموا بعملية تمحو العار ، ومن نجا ، نجا بدون عار ، ومن مـات ، انمـا محـا العـار ومات شهيدا .. وانا بلخير مساعدية الاول مستعد للاستشهاد .

الثورية ليست السلوك والتفكير فحسب ، الثوريـة هى انسجـام التفكير والسلوك فى الوقت الواحد .. نعم نعم

وفى طريقـه الى الاخـوان ليبلغ اليهم مـا اقر عليه العزم ، التقى بلخير ، ببيرتى ، ادى له التحية العسكرية ، رمز العار كما قال فى سره ، ثم تقدم ليمر فى سبيل حـالـه ، بيد ان بيرتى استوقفه ، وطلب منه ألا يوقظ أحـدا من الجنود ،وان يصطحبه

- اعوذ بالله من الشيطان الرجيم

قال بلخير فى سره ثم سار الى جنب السوليطنان قدما ، وبعد بضع خطوات التفت اليه قائلا :

- بلخير . ؟ .

- فى الطلب ..

ـ اعرف ذلك ، يجب ان لا تبقى القفازات دائما بيننا في حديثنا ، اننا اولا وقبل كل شيء صديقان ‥ اليس كذلك ٠ ؟ ٠ أ ٠٠ أ ٠٠ ماذا اردت ان اقول؟ انني في الواقع ما ازال نائما٠٠لقد اردت ان اقول لك٠٠ماذا ؟ ماذا ؟ هاه ٠٠ لقد تذكرت ، اذهب واحضر نظاراتك المكبرة ٠٠ وتعال ، انني في انتظارك بلـخـير

صعد بلخير وبيرتي درج صومعة المراقبة رويدا ، الى ان بلغا منتهاها فقال بيرتي وهو يشير باصبعه :

ـ انظر بلخير ، الى هنالك ، سنذهب الليلة اترى الى تينك البنايتين ؟٠

تامل بلخير البنايتين الواقعتين في المنطقة المحرمة هنيهة ثم قال :

ـ اراهما ، اذن سنذهب الى هنالك ؟ المسافة ليست بعيدة ٠٠ لا تتجاوز ثلاثة كيلو مترات فيما يبدو

ـ بالضبط ، لقد اصبت ٠٠ سنقطع المسافة سيرا على الاقدام على ما اظن ٠٠ هيا بنا الى المكتب ٠٠ اياك ان توقظ احدا ، دعهم يأخذون نصيبا كافيا من الراحة ، فمن يدري ما تكونه المفاجئات ، على كل نحن سنكمن فقط ، هكذا قيل لي ، بيد انني اعتقد ان هذا الكمين سيكون من نوع خاص ٠٠ المشحون بالمفاجئات ، لان الاسلاك قطعت البارحة ولا بد ان تكون هنالك قافلة من الخارجين عن القانون مارة الليلة

ـ كم انا متشوف الى لقائهم يا سيدي بيرتي

ـ ماذا تقول بلخير ٠ ؟ ٠

ـ انني اخترت خط شال لانه المكان الذي تجري به اكثر العمليات والمعارك ولكن مع الاسف الشديد لم يصادف قط ان قتلت ولو (فلاقا) واحدا منذ دخلت الجيش الفرنسي ٠٠

ـ شكرا بلخير ، قد نلتقي بهم الليلة ؟؟

ـ يقين اننا سنلتقي بهم

قال بلخير وكانما يخاطب نفسه الا ان بيرتي كان قد سمعه ، فبادره :

ـ يقين ٠ ؟ ٠ من ادراك ؟ اياك ان تقول مثل هذا الكلام امام الجنود ٠٠

ابتسم بلخير في سره ثم قال :

ـ ان فصيلتنا لا تتكون الا من الشجعان ·· انهم كلهم يتطلعون الى اليوم الذي يبرهنون فيه عن شجاعتهم

وفي المكتب استند بلخير بيده على المنضدة يمتص من السيقارة التي في فمه ، ويملي على بيرتي اسماء من يعتقد في شجاعتهم : الكابران حبايبية ، الشاب الزبير ·· الى آخره ·· ومن بين الاثنين والعشرين الذين اختارهم ، احد عشر معه واحد عشر مع بيرتي ، عين اربعة من الاخوان معه واربعة مع بيرتي الذي كان الاختيار محل رضاه ، واعجابه في نفس الوقت ··

وحالما استيقظ الجنود وكانت الساعة تشير الى العاشرة صباحا ، والجو بالرغم من الضباب الكثيف الذي جثم على الكون قبل ذلك كان جميلا يبشر بيوم مشمس دافىء ·· أسرع بلخير ، فعين ثمانية للقيام بشدف الحطب للضباط كان الثمانية الذين عينهم هم الاخوان ·· وما ان انفرد بهم بلخير حتى اطلعهم على الامر قائلا :

ـ ان لم نفر الليلة ، فلن نفر ابدا ، وان لم نمح العار الليلة فسيلازمنا الى الابد ·· لقد وزعتكم اربعة مع بيرتي واربعة معي ، الاربعة الذين معي ساعين لهم عملهم فيما بعد ، اما الاربعة الآخرون فحالما ينتهي الى سمعكم اطلاق النار ، الهبوا الفرنسيين الذين معكم بالرصاص ، ثم خيروا المسلمين بين الفرار معكم او الموت ، يجب ان يتم كل هذا بسرعة فائقة ·· الموت او الحياة ·· من تردد مات ومن قبل الفرار فحبذا ·· اما ما ينبغي ان لا يغيب عن بال احد فهو حمل اقصى ما يمكن من الاسلحة والذخيرة ·· افهمتم ؟! اما ان يمحى العار الليلة واما ان يلازمنا الى الابد ··

كان كل شيء يسير في مجراه الطبيعي ·· البشر يعلو الوجوه ، القلوب يشتد خفقانها كلما عجت بالصدور ولعجت احاسيس وعواطف متباينة متضاربة تبدأ بالخوف واستفداح واستعظام الامر وتنتهي الى التشوف الى ما ينطوي عليه المستقبل ·· الاجساد تعتورها بين الفينة والاخرى قشعريرة هي اقرب ما تكون الى الزلزال منها الى القشعريرة ·· وباختصار ، كل شيء يسير في مجراه الطبيعي الى ان حلت الساعة السادسة ، وحل معها مشكل لم يكن بالحسبان ، هو حضور يوطنان من (المريج) خصيصا للاشراف على هذا الكمين لانه كان يعرف المنطقة معرفة جيدة كما قيل ·· اما المشكل بالذات فانه تكاثر عدد الفرنسيين بالاضافة الى المشكوك في امرهم من الجزائريين ، والميئوس منه من بينهم ·

لاحظ بلخير جوانب هذا المشكل ثم عاد الى زملائه ، وراح يشجعهم واحدا واحدا ، ويستمد مما يبدونه من شجاعة ، ومن استعداد للتضحية وايمان بضرورة القيام بما يمحو العار ، يستمد من كل ذلك قوة وعزيمة وشعورا بعزة الجانب ووفرة الطاقة ، وهى اقصى ما يطمح اليه من كان مقدما على مثل ما هو مقدم عليه

ومهما يكن من امر فان هذا المشكل الطارىء لم يكن ليغير من البرنامج شيئا فقد حلت الساعة السابعة الا الربع موعد الكمين ، وها هى الفصيلة بلغت البنايتين ، هتان البنايتان اللتان كانتا ذات يوم اهلتين بالسكان ، زاخرتين بآمالهم واحلامهم ، مزدهرتين بنشاطهم ، وبين صبحة وضحاها اقفرتا وخلتا الا من البوم والحمام ، بعد ان احدثت المنطقة المحرمة ، فاضحتا بدورهما حراما على من بناهما ٠٠

ام بيرتى واليوطنان والاحد عشر جنديا الذين معهما بناية ، وام بلخير وجماعته البناية الاخرى البعيدة عنها بنحو ثلاثمائة مترا او يزيد ، وفور الوصول شرع بلخير فى ترتيب زملائه فى اماكنهم ٠٠ وضع خمسة ، الاخوان الاربعة واحبايبية فى المقدمة، احبايبية طبعا فى الوسط وخلفهم على بعد خمسين مترا وضع الكابران (مير) والجندى (مالافال) والمدفع الرشاش وقذافه المسلم وبالقرب منهم بقية الجنود ٠

تفقد الشاب السرجان مير ومن معه فالقى عليهم نظرة فاحصة ، ثم عاد الى حيث يكمن الكابران احبايبية بالاخوان الاربعة ، فوقف عند رأسه والقى نظرة خاطفة عليه وعلى المدفع الرشاش ٠

٠٠ انه منبطح ويداه فى جيبيه ، المدفع بعيد عن متناول يده ٠٠ فرصة سانحة اذا ؟ فليغتنمها ٠

وضع قدمه على المدفع ثم شهر مدفعه الرشاش الذى على كتفه فى وجه حبايبية قائلا :

ــ ارفع يديك ايها الخائن ٠

قهقه الكبران قائلا :

ــ دعنا من الهزل ، الناس لا يهزلون بالسلاح يا سرجان ٠

ــ قلت لك ارفع يديك والا اطلقت النار ، هيا ٠

لم يرفع يديه ولم يأخذ كلامه وتهديده مأخذ الجد ، فقد حمله محمل الهزل

والمداعبة ، الا ان الوقت الكافي للهزل والمداعبة لم يكن بالمتوفر ، فقد بادر السرجن باصدار الامر الى اخوانه :

ـ اوثقوه بالحبال ، اسرعوا ، اما انت فاياك ان تتحرك ولو قيد انملة ٠

ارتمى الشبان الاربعة على الكابران واخرجوا الحبال التى كانت فى جيوبهم وانهمكوا يحاولون شد وثاقه الا انه بادر فارسل صرخة استنجاد ، فلم يكن من بد سوى القضاء عليه، فهوى بلخير على راسه ببندقية فتشدخ مثلما تشدخت البندقية ايضا ، واخرج احد زملائه موسى وانكب على رقبته يحاول جذمها ، بينما اصطحب بلخير الزبير وام الجماعة الاخرى ولـم يكد يصل حتى بادره مير يسألـه ٠

ـ ما هذا الانين ؟ ؟

ـ كلب حاول الفرار فضربته ٠

ـ وماذا يفعل الآن ؟ هل اخبرت عنه ؟

ـ اخبرت فقيل لى احرسوه حتى يأتيكم الامـر ، ولكن ليست لى ثقة فى الذين يحرسونه والاولى ان تحرسه بنفسك هيا معى بالكلب البوليسى ٠٠

ـ اذهب معه يا مالافال ، اصطحب الكلب معك ٠

ولما عاد بلخير بمالافال التفت اليه مشهرا مدفعه وخاطبه :

ـ ارفع يديك ، حالا بلا تردد ٠

اودعه الى زملائه حين رفع يديه فجرده من السلاح وامرهم بالانصراف بـه ثم عاد الى الكابران مير فوضع السلاح الذى على كتفه فى الارض ثم ارتدى المعطف وعبأ القنابل اليدوية فى جيوبه واعاد السلاح الى كتف ، ووضع الجهاز اللاسلكى اليدوى فى كتف اخرى واصدر امرا الى القذاف بان يحضر له قهوة من جرابه هو الذى يعرف انه وضعه داخل البناية ولما عاد بالقهوة احتساها فى هدوء تام ، ثم ٠٠٠ ٠٠ ٹ ٠٠ ٹ ٠٠ م التفت الى مير وضغط بأصبعه على الزناد تأوه مير ثم سقط طريح الارض تنزف منه الدماء ، وفى تلك اللحظة بالذات التفت الى القذاف وامره بان يرفع يديه الا انه اسرع فانبطح على بطنه ، فضغط على الزناد مرة اخرى وجمد القذاف ، ثم التفت الى الاخرين فى سرعة عجيبة فاطلق النار على من صمم قبلا على قتله اما لانه ميؤوس منه واما لانه ارتكب ما يستوجب قتله من الجرائم وبينما هو يخير البعض بين الالتحـاق بالثورة او الموت اذ بالقذاف يزحف على بطنه نحو المدفع ٠٠٠ كان لم يمت بعد ٠٠ انما جذمت ساقاه فقط ، فضغط مرة اخرى بلخير على الزناد فتطاير راس القذاف

شدقا ولكن فى تلك الاثناء ايضا ، انبعثت آهة من صدر يضم قلبا حبيبا ٠٠ الزبير ٠٠ مسكين الزبير لقد انذهل فبقى جامدا لا يعى شيئا مما يدور حوله ٠ فأصيب ، مسكين هو الزبير ٠٠ اطلق بلخير النار على من تـردد أو رفض ان يمحو العار ٠٠ ثم اطلق ساقيه للريح ليلفه رداء البهمه ويحتضنه الجبل الحبيب مثل بقية اخوانه ٠

ومنذ منتصف الليل تبادل الاشارات الضوئية مع بقية الاخوان ، وبعد ان سألهم عن الاسير وكلبه ، علم انه ابى المسير فقتلوه وكذلك كان مصير الكلب انتظر معهم قليلا لعل احدا يلتحق بهم ، ثم استأنف بهم السير ، وفى منتصف نهار الغد فوجئوا بالكلب يطل عليهم ٠٠ لقد انبطح حين سقط صاحبه فظنوه مات ٠٠ الا انه هاهو ذا ، اخذوه معهم ثم واصلوا الطريق ٠٠

وان هى الا لحظات ، حتى بانت مراكز المجاهدين فتنفس الشبان الصعداء ، وهمس من همس منهم مثل بلخير ٠٠

ـ لقد انمحى العار ٠

الطاهر وطـار

فى اعـدادنا القـادمـة :

- مجالس الأنس فى القرن الرابع الهجرى بقلم : حمادى بن حليمة
- اللغة وشعر الكاظمى بقلم : ابراهيم السامرائى
- جمال من سويسرا بقلم : جعفر ماجـد
- هل تنكرين جميل حبى : بقلم جعفر مـاجد
- العين والأظافـر بقلم : محسن بنحميدة
- امتنــــاع بقلـم : الدكتور عـلى شلـق
- حـرب الجـزائـر بقلم : سعد الغـزال
- المـوت والاشعـاع بقلم : مصطفى الحبيب بحرى

ورد عـلى المجلـة

الشابى النبى المجهول

للشاعر مصطفى الحبيب بحرى

عيـــد الغـــــريب

بقلم محمد الحبيب الهيلة

لفـافة تبغ.. وليلـة عيد.. ولوعـة نفس.. وبـعـض قصيـــدة
وبيـت عـوالمـه مقفرات.. وقلـب أضـاع اغـترابي حدوده
هـي اليوم كـل بقـايـا حيـاتي وارثـي من ذكريـاتي البعيـده
يجمـعهـا الليـل في حجـرة لهـا مع أمسـي عـهـودا رغيـدة
لفـافـة تبغـي يـد مـاهـرة تصوغ خيـالات روح شقيـة
دخـان يصور ألـف التـواء.. وألـف احتـدام لنفس غـويـه
لقـد عـاد يفضـي لـرمـادتـي قسـاوة غـربتـه الابـديـة
ويـرسم فيضـا من الـذكريـات تعيـد معـالم كـانت قصيـة
وليلـة عيـدي عـادت وئيدة يحيط بـهـا شـال صمت عـميـق
يلـف مفـاتنهـا حيـن جـاءت تقـابـلني بـعـد عام... وضيق
وكـم كنت عانقتها في احتفـال يموج ابتسـامـا شهـي البـريـق
ويجمـع حولـي فيض أغـاني.. وشـلال نـور.. وجمعـا صديـق

أليلـة عيـدي بمـاذا رجعـت ؟ بـأي جـديـد ؟ بأي هـديـة ؟
ظننتـك حيـن تعـوديـن ألفي لديـك ارتيـاحا لنفـسي الشقيـة
وألقـاك مثقلـة بـالأمـاني.. فتينـع فيك ورودي الشـذيــة
ولـكـن عـامـي مـرّ جـديـبـا وعـدت ومـا في يديـك هدية.
وبيتـي هـذا الـذي عشـت فيـه ربيعـا مـن العمـر غض الـرحاب
بنيـت بـه معبـد الأمنيـات.. نحـت تمـاثيلـه مـن شـبـابي
غرسـت أزاهيـره يـوم كنـا يـوحـدنـا الأنس قبـل اغـترابي
أؤوب لـه نـاسـكـا مستجيـرا وأفتـح فيـه دنـان التـصـابي
قطعـت مجـاهـل دهر رهيب غـريبـا يصاحب نفسا غـريبـة
يجـرهـمـا للغمـوض عتـي يـسـوقـهـمـا للـدروب المـريبـة
وذات مسـاء سـألت رفـاقـي : لماذا تركت ربـوعـي الحبيبة ؟
لمـاذا أعيـش غـريبـا ؟ لمـاذا أقدم للعيد نفسـا كئيبـــة ؟

محمد الحبيب الهيلة

اسـ‍ــــــــطورة موجــــــــة

بقلم رشيد الغالي

هذه خواطر أثارتها في معركة بنزرت

ر.غ

كانت الموجة العبقرية في اليم البعيد تلتئم وتتكامل بحنكة ونزق ؟.. وكانت الرياح الصيفية الناعمة تساعدها على أن تنمو باستقامة، وتخفف عنها، في الآن نفسه، وطأة النمو وكآبة قلقة...

... إذن، لقدكان لها وجود حي، نابض وسط هذا الخضم الهائل نعم، كان لها وجود إذ هي من معدن هذا الخضم ولكن وحدتها الذاتيه هي هاته التي تصنعها وتخلقها بطريقتها المتميزة بها،... وأخيرا فهي في شغل شاغل، إنها منهمكة في خلق ماهيتها...

... وصعق في الجو صوت بشري، فصاح الموج : إن في بني البشر من طغى وتجبر ؟

وعم الكائنات صمت غريب..، وطلع من الأفق البعيد كائنات مجنحة، ليس لها شكل الطيور التي عرفت، واتجهت هذه الكائنات نحو اللجج حيث الخلق والدفق والتوليد،...

لقد كانت هاته الكائنات تحلق بسرعة عجيبة، نعم ! سرعة لا تخضع للمقاييس الزمنية التي عرفها البشر.

وعم الكائنات استفهام ممض و.. حيرة مذبذبة إلا الموجة..، الموجة العبقرية.

* * *

وتحركت الموجة البنزرتية نحو الشاطىء العروس..،شاطىء بنزرت.

كان وصولها إلى الساحل حذرا، متيقظا، فغمر سكون رهيب المياه الإقليمية وومضت في الجو رعشات تختلج كأنها صراع الأرواح. وعلت المياه التي تعبر مجرى القاعدة فصاحت زرقة البحر :

— ما هذه الدماء ؟ إنها بشرية ؟

وأجابتها الموجة في هدوء : إنها بورقيبية ؟

وفتحت الزرقة صدرها الرحب فتحركت الكتل الحمراء، البريئة في هيبة وجلال و.. انسجام...، تحركت نحو الأعماق، نحو القرار الأعظم، نحو الأبد..،

وهدهدت الزرقة وهي تضم الكتل الحمراء ضمتها الأبدية :
— إنها دماء زكية ؟

* * *

كان المصاب شديدا على الموجة رغم ما اتصفت به من صبر وتجلد ورصانة، فصعقت : يا للقسوة ؟ يا للصلابة ؟

كانت الصخور تستمع بانتباه وتتبع حركات الموجة التي تتجه نحو القاعدة البحرية. فتمتمت : " ليت لي حظ الحركة التي تشارك فيها الموجة بني البشر لاشاهد على العين قسوتهم وصلابتهم... إنهم يصفونني بالصلابة ويضربون بي المثل في ذلك و..."

وتثار في خلدها ذكريات وأفكار كثيرة : "إنهم يعلمون أن معدني صلب ويدركون أن ذلك ليس من اختياري"،

« فكيفية وجودي ونوعه ومكانه وزمانه، كلها ليست مناختياري أو إرادتي أو .. مشيئتي،..."

"ولكن،.. ولكن صلابتي هذه تثبت لهم وجودي ،ومعدني هذا، الصلب، ضروري لبناياتهم و.. سدودهم."

كانت الرمال قد أدركت بحدسها ما يدور بخلد الصخور فقالت :
— ما أقسى بني الإنسان ؟

فأجابتها الصخور : "أيه يا أختاه ! فأنا لا أبادر بإذايتهم أو.. تحطيم مراكبهم، وإنما هم يرتطمون بي كلما كانوا في غفلة وانفلات شامل عن الوعي ..، فحاشى أن أكون حجر عثرة ..، نعم حاشى أن أكون وجدت للاصطدام لأن هذا يثبت عبثية كينونتي،ويؤكد في الآ ننفسه، لا معنى شامل يغمر هذا الوجود ..."

"ولكن خطأ البشر الأكبر يكاد يكون واحدا ويتمثل هذا في انفلاتهم عن الوعي انفلاتا أعمى وفي عدم استجابتهم للضمير.." وفي هذا يكمن الشيء الأكبر..."

و لاحظ مستمعوها أنها أكثرت من الحديث على نفسها وكادت تهمل المحورحيث تكمن العلة الأولى لهذه الحادثة..، فتنكس الصخور رؤوسها وترمق النبات البحري المعشش في جذوعها السفلية، وتتأمل الأغو ر التي حفرها المو ج في أجو افها فتصمت...،

* * *

كان بالقرب من القاعدة بعض حبات من الرمال..، فاغتنمت

فرصة غياب الموجه لتتساءل، متجاهلة، بصوت مرتفع : "ما بال الموجة في هذه الحال التي لم نتعهدها منها ؟"

ولم تجد من يجيبها فتلتئم وتصمت....،

* * *

إن الموجة واثقة من انتصارها و لايمكن لها أن تشك في ذلك لأنها لا تحمل في طياتها إلامعنى الخير والإستقامة.. فهي "تتعرف وتتفهم ثم تعي وتستمرىء ولا تتخطى حدودها وبذلك تستقيم مع الأوضاع الوجودية »

غير أن الريح رغم إيمانها بانتصار الموجة فإنها تود استعمال القوة للقصاص والانتقام والانتصار.

ولكنها سرعان ما أدركت أن لكل مفهومه للقوة بل لكل آلته في استعمال معدن القوة.

* * *

كانت الموجة تعود إلى اللجج في موكبها، وفي نفسها اعصار، وفي دماغها مستقبل..

انها تعلم أن الشر قابع ،هناك، في خلايا الذوات المهوسة، وانه يطغى من حين لآخر لينهش نهشته... ولكن سريعا ما تطرده الإنسانية فيحكم على نفسه بالخذلان والركون ويقبع في تلك الخلايا المرضى..، انه يعلم أنه، في ذاته، غير حسن، وأنه الانزعاج ولكنه راضٍ.. يعيش... أهو من مستلزمات الإنسان؟ أم هو من متلابسات الوجود؟ أم هو بعض معاني التناقض العبثي ؟

كان يحيط بالموجة البطلة كائنات كثيرة ومختلفة، وكانت تبتسم لها،..

أما في كلمة الشكر قالت لها فيما قالت : ... سأبقى أنشودة الأناشيد ترددها أعماق الدهور، سأبقى أسطورة خالدة مدى العصور...

رشيد الغالي

مطالعات

محمد العيد رائد الشعر الجزائري الحديث

دراسة لأبي القاسم سعد الله
بقلم أبو العيد دودو ط. دار المعارف بمصر 1961

لا إخالني أكون مبالغاً إذا قلت أن الأخ أبا القاسم سعد الله يقف في طليعة شبابنا المثقف. وقد عرفناه شاعرا قبل أن نعرفه ناقدا أو دارساً وذلك حين كانت جريدة البصائر وبعض الجرائد التونسية توافينا بقصائده الرائعة.

وفي علمي أنه أول من غرد على القوالب الشعرية المتحجرة، وطرق باب الشعر الحديث الحر، وحاول أن يمد الشعر الجزائري بنسغ جديد يرتفع به عن الانحطاط والإسفاف والضحالة، ويقربه من مستوى الأدب الإنساني. وبذلك فتح الطريق لشعرائنا الشباب الذين ساروا على نهجه، واقتفوا أثره فيما بعد.

ولكن طموح شاعرنا وحبه للثقافة، بمجالاتها المختلفة، لم يقفا به عند هذا الحد، بل أبيا عليه إلا أن يقتحم موضوعاً آخر، لم يسبقه اليه غيره في تاريخ حركتنا الأدبية، وهو موضوع البحث والدراسة. فقد كتب سعد الله عدة أبحاث عن تطور الأدب العربي في الجزائر، باعتبارها جزءا من خدمته للقضية الوطنية في إطاراتها المختلفة، ونشر تلك الابحاث في مجلات أدبية راقية تصدر في الشرق العربي. فعرف الأدباء والكتاب لأول مرة أن للجزائر أيضا شعراءها وأدباءها.

وقبل مدة أصدر سعد الله كتابا رائعا عن حياة شاعر الجزائر محمد العيد. وقد حاول المؤلف أن يتبع في ذلك أحدث طرق البحث والدراسة الأدبية، ووفق فيها إلى أبعد حد. فقدم لنا صورة حية عن حياة الشاعر من خلال إنتاجه وتعبيره.

وقسم الكتاب إلى ثلاثة أقسام.فيحدثنا في القسم الأول عن أشكال البيئة السياسية والإقتصادية والإجتماعية التي رافقت نموالشاعر وتطوره، ثم عن نوع الثقافة التي تشبع بها، والمدارس الأدبية التي تأثر بها، والرحلات التي قام بها، والتجارب التي إكتسبها في خلال ذلك. ولا ينسى المؤلف أن يقدم لنا نماذج من شعره توضح آراءه وخبراته في كل

مرحلة من هذه المراحل.

وفي القسم الثاني يقدم لنا المؤلف محمد العيد شاعراً وإنساناً يحس ويتأثر ويتألم ويعيش في زحمة العواطف المرهفة والمشاعر النبيلة فيحلل شعره ويعرض آراءه، ثم يحاول ربطها بالأحداث والوقائع والمناسبات، كل ذلك بأسلوب مشرق لا تشوبه أدنى شائبة، ولا يعتريه أدنى غموض أو إلتباس. وقد أتاحت للمؤلف ثقافته العالية وفهمه الصحيح وإطلاعه الواسع أن يكشف لنا عن خفايا شاعرية محمد العيد ومعطياتها الثرة الغزيرة، ويبرز لنا سماته الواضحة المميزة.

أما في القسم الثالث فيقدم المؤلف نماذج من شعر محمد العيد اختار عناوينها بنفسه. وهذه النماذج إن دلت على شيء فإنما تدل على حسن تذوق المؤلف للشعر وتقييمه له. ولا غرابة في ذلك، فأبو القاسم سعد الله شاعر قبل كل شيء يدرك معنى الحرف وحرارة الكلمة.

ومع أن المؤلف قد شتكى في المقدمة من قلة المراجع، فإن هذا لا يمنعنا من أن نلاحظ أنه لم يبين لنا مدى تأثر محمد العيد بمدرسة شوقي ومدرسة المهجر، لاسيما فلسفة جبران، رغم أنه أكد ذلك أكثر من مرة. فحبذا لو عقد المؤلف فصلا لمقارنة شعره بشعر هاتين المدرستين!

وأخيرا فالكتاب لا يخلو من الاخطاء المطبعية، وقد كان يمكن تفاديها لو أن المؤلف أشرف على طبع الكتاب بنفسه، ولكن وجوده بأمريكا حال بينه وبين ذلك.

ومن الطبيعي أن ملاحظتي السابقة لا تنقص من قيمه كأثر فني خالد جاد به قلم أبي القاسم سعد الله. ولا يسعني إلا أن نهنىء المؤلف على هذه الدراسة الواعية التي تعتبر أول لبنة في صرح شعرنا الحديث بكل انطلاقه واندفاعه. ومن حقنا أن نقول أن عصرنا الذهبي قد بدأ يوم أن انطلقت أول رصاصة في جبال الأطلس الشامخة، وما دراسة سعد الله هذه إلا ثمرة من ثماره الناضجة.

أبو العيد دودو

ندوة القراء

نحن...والنحو العربي

تناولت المجلات الأدبية والمجامع العلمية في شتى أنحاء العالم العربي، وخلال فترات متعاقبة موضوع – "تبسيط اللغة العربية" – والإزدواج اللغوي بالبحث والدراسة، وتبارى الكتاب والمؤلفون ورجال الفكر عامة وكرسوا جهودهم ، في إبراز الدراسات القيمة والإقتراحات الوجيهة ولكن خرجنا من هذه "المباراة" بيد فارغةوالأخرى لاشيء فيها. ويرجع هذا كله إلى أننا لم ندرك إلى الآن طبيعة ما نبحث فيه، وما نحاول تبسيطه أو إزالة إزدواجيته. ولو عرفنا (أن التفكير العربي في صميمه تفكير عقلي RATIONALISTIC أو منطقي أكثر منه خيالي شعري و"نحو العربية "إنما هو صورة من مفهوم العقلية العربية التي برعت من قبل في الرياضيات والمنطق والعلوم . لو عرفنا هذا، وتعرفنا على فقه اللغة، وتعمقنا في دراسته، وأطلعنا إطلاعا كاملا على فلسفة النحو ، لأدركنا حقيقة ما نريد الوصول إليه، والصعوبات المعترضة سبيل محاولتنا. و لا يكفي هذا، فلا بد لنا من أن نقوم بمقارنة اللغة العربية باللغات السامية؛ كما أنه لابد من معرفة تامة بعلم الأصوات وعلم المرفولوجيا Morphologie "علم تكوين الكلمات وتركيبها" كما أنه أخيرا لابد من أن تكون لنا دراية ومعرفة لليونانية واللاتينية.

فمن ناحية "النحو العربي" أمامنا مدرستان، مدرسة الكوفة ومدرسة البصرة. ولما كانت مدرسة البصرة أكثر تزمتا من شقيقتها فعلينا إذن أن نأخذ بتلابيب المذهب الأكثر تحررا وانطلاقاً. وأما محاولة الإنتفاع بكلا المذهبين فأمر يبدو من الصعوبة بمكان. وإنما علينا أن نأخذ "بمذهب الكوفة" ونحور فيه تبعاً لمقتضيات العصر الحديث وأخذاً بمبدإ التطور الذي تفرضه الحياة علينا. وهذا ما درج عليه المشرق كما أشار إلى ذلك

الدكتور إبراهيم السامرائي في تعليقه حول تبسيط اللغة العربية للأستاذجودا ولكي نتعرف إلى نوع جديد من التبسيط في اللغة العربية سوف أعرض هنا بعض النماذج لهذا النوع من الدراسات والتي لاقت نجاحا باهراً في المدارس العربية.

يذكر مثلا : أن أساس الجملة العربية : هي "الفعلية"، والجملة الفعلية يكون فيها المسند (الخبر) والمسند إليه (المبتدأ)أو الفاعل أو نائب الفاعل. وقدنتساءل ما هي الجملة الفعلية ؟ الجملة الفعلية هي التي يكون فيها المسند دالا على التغير والتجدد وذلك إذا كان مصحوبا بزمان نحو : – ضرب محمد الطفل – محمد ضرب الطفل – فالجملة في الحالتين "فعلية" وذلك لأن المسند "فعل" إذا عرفنا الجملة الفعلية فما هي الجملة الإسمية إذن ؟ الجملة الإسمية هي التي يكون فيها المسند دالا على الثبوت والدوام وهذا المسند لابد من أن يكون "إسما" مثال ذلك : خالد أخوك –خالد مسند إليه وأخوك مسند.وأما جملة خالد يؤاخيك فالمسند يؤاخيك يدل على التغير . فالجملة حينئذ جملة فعلية لأن المسند غير ثابت إذ أن الإخاء لم يحدث وربما لن يحدث.

أما العلاقة بين الفعل والفاعل فهي على صنفين، ولاضرورة لذكرهما هنا. أما عن علامات التذكير والتأنيث فيذكر أن العرب يصرون على التفرقة بين المذكر والمؤنث فجعلوا للتأنيث علامات أكثر مما للمذكر من جهة الإشارة .تا،تي، ته،. بينما للمذكر ذا فقط.

كما أن العدد وتمييزه، واستعمالاته، وإعرابه له قواعد مبسطة سهلة الفهم والتناول.

أما "الجملة" في العربية فهي الوحدة الكلامية الصغرى التي يبحث عنها النحو والجملة منها بسيط ومنها مركب. فالجملة البسيطة هي التي تحوي على مسند إليه واحد، والجملة المركبة هي التي تحتوي على أكثر من مسند إليه واحد.

ثم يشار من جملة القواعد النحوية. أن المسند "إليه" هو محور الجملة وطابعه "الضمة" (علامة الرفع). وقد نتساءل لماذا أعطوا المسند اليه الضمة

وهذا طبعا لا يمكن ان نحشره في الكتب المدرسية ونجيب نحن عن هذا التساؤل فنذكر ان العرب اعطوا «المسند اليه» علامة لأنه "يتنقل" وعلى هذا فالضمة للمسند إليه والتابع ، والكسرة إلى المضاف إليه والتابع والفتحة للبقية لما ليس مسنداً إليه أو مضافا إليه

وظيفة الجملة : الطابع الغالب على الجملة أن تكون : "فعلية"

المسند إليه ثلاثة : فاعل ، مبتدأ، نائب فاعل. وإذا أردنا الإختصار فنقول فاعل مبتدأ

المبتدأ يكون في الجملة الإسمية والفاعل في الجملة الفعلية.

هذه بعض نماذج أدرجتها هنا ويمكن أن نستفيد منها في مدارسنا الإبتدائية أو الثانوية — بتبسيط أكثر — ونحن على أتم استعداد الى أن نلبي جميع "المقترحات" إذا وجدت هذه الطريقة صدى في النفوس.

وألاحظ للذين يريدون إزالة العلامات علامة الرفع مثلا أو النصب أن اللغة العربية لغة "تركيبية" ليس للكلمة مكان فيها خاص ولذلك احتاجت إلى علامة أما اللهجة العامية أو الدارجة واللغة الإنجليزية مثلا فهي لغة " تحليلية " نقول في اللغة العربية : محمد زار أخاه. وفي اللهجة الدارجة : محمد زار أخوه.

محمد الأمين حلفه

- **الى الادباء والكتاب**

تماشيا مع روح العصر انشىء « مكتب النسخ » رسالته تسهيل مهمة الادباء والكتاب وذلك بان يتولى نسخ انتاجهم بالآلة الراقنة وفى عدد النسخ التى يطلبونها والوقت الذى يحددونه ، مع وضع الفواصل والنقط وكل العلامات ، والتنبه لما قد يكون من سهو لغوى او نحوى او غيره من طرف الكاتب ، بحيث يكون النتاج معدا لتقديمه للطبع او للمباريات الادبية على احسن واحدث طريقة.

و « مكتب النسخ » مستعد للعمل مع الادباء مباشرة فى منازلهم او مكاتبهم ليلا • تخابروا مع السيد الطاهر وطار — نهج اليونان رقم 1 ضاحية الكرم — تونس

أصداء الفكر

• رابطة القلم الجديد و ذكرى اندلاع الثورة الجزائرية

كان يوم سبعة نوفمبر ذكرى اندلاع الثورة الجزائرية المباركة يوما خالدا في التاريخ ، فقد اقامت رابطة القلم الجديد مهرجانا أدبيا كبيرا شارك فيه جميع الادباء التونسيين تخليدا لهذه الثورة العظيمة المباركة

ففي المهرجان تحدث الكاتب العام للرابطة السيد عبد الرؤوف الخنيسي عن تضامن الادباء التونسيين مع الجزائريين الابطال وتعرض الى الملامح التي تركتها الثورة الجزائرية في الشعر العربي المعاصر ، ثورة الجزائر التي اخذت تغير مفاهيم الشعر تغييرا جذريا • ثم جاء السيد الحبيب عباس فحيا كفاح الجزائر واعتبره كفاح العرب اجمعين واكد بان استقلال الجزائر يحتمه سير الزمن •

وانتقل المهرجان من الكلمات الى القصائد الشعرية فجاء منور صمادح ينشد للثورة وجاء بن بابه صالح الشاعر الجزائري يغرد لها • كما جادت قريحة علي شلفوح بقصيدة عن العروبة •

اما ابن الواحة عبد الرحمان عمار فقد عطر المهرجان بصلواته لارض اوراس ثم عرضت بعد ذلك رواية تمثيلية بعنوان « نهاية خائن » كتبت خصيصا بمناسبة هذه الذكرى العظيمة واسرة جمعية قدماء مدرسة التمثيل العربي هم الذين قاموا بتمثيل الرواية ونجحوا فيها نجاحا كبيرا •

وبعد الرواية جاء الاستاذ المختار بن محمود فرجع بكفاح الجزائر من الاول وحيا بطولة الامير عبد القادر الجزائري وحمل الجميع على جناح الشوق الى جزائرنا المجهولة •

• رابطة القلم الجديد ومعركة الزلاج

كان ادباء تونس يوم 7 نوفمبر على موعد مع رابطة القلم الجديد ، لقد اقامت الرابطة مهرجانا حيت فيه ارواح شهداء معركة الزلاج تلك المعركة التي وقعت في سنة 1911

وبهذه المناسبة احتفلت الرابطة ايضا بصدور كتاب « معركة الزلاج » للاستاذين الجيلاني بالحاج ومحمد المرزوقي • وتكلم في حفل التكريم الكاتب العام للرابطة فقال : ان كان هناك من حنين ازلي خالد فانما هو حنيننا الى

تاريخنا البطولي • ومعركة الزلاج للاستاذين الكريمين الجيلاني بالحاج يحي ومحمد المـرزوقي الفضل كل الفضل في التعريف بها والحديث عنها مطولا في كتابهما المحترم « معركة الزلاج » •

ثم جاء رئيس الرابطة السيد نور الدين صمود فقال : انها لبادرة طيبة ان نرى تاريخنا يعنى به في الحاضر ولكن نحن لسنا نحتفل بكتاب فقط واذا كان كذلك فيا للعـار يجب ان نقدر التأليف وان نساهـم في نشر الكتب ثم بين الغاية من كل ذلك وجاء السيد الحبيب عباس فتحدث عـن خمسينيـة الزلاج بين التخليد والتأليف ذهب في موضوعه مذهبا عزيزا •

واخيرا جاء السيد علي شلفوح فنظر من زاوية تاريخية لمعركة الزلاج وآخيرا تكلم الاستاذ محمد المرزوقي فابـان الظروف التي الف فيها الكتاب مع زميله الجيلاني بالحاج يحي •

وانتقل جميع الادباء الى المرطبات فتجاذبوا الحديث في قضايا الادب وكان الجو يكتنفه الانس وتظلله المسرة •

• زار تونس في الاسابيع الماضية القصاص المصري المعروف الدكتور يوسف ادريس ضمن بعثة من التلفزيون العربي في رحلة استطلاعية الى تونس

وقام الدكتور يوسف ادريس بجولة الى الحدود التونسية الجزائرية وهناك اصيب بـرصاصة من جنـود الاستعمـار : ودخـل مستشفى الحبيب ثـامر وخرج في صحة جيدة •

• (نبضات قلبي) عنوان ديوان للشاعر التونسي نور الدين صمود

والشاعر يسعى الآن لرسم لوحات فنية للديوان حتى يقدمه للطبع لان الديوان هـو حكاية قلب غرير احب في مصر مـوطن كليـوبطرا وسوريـا ولبنان وتونس •

• للهادي نعمان صاحب « النغم الحـائر » قصائد كثيرة فاضت بها ايـام الطفولة المرحة البريئة وكانت القصائد قد ضاعت منذ ما يزيد عن عشر سنوات• واخيرا وجد الشاعر قصائده المضاعة عند احد رفاقه • كانت القصائد

مكتوبة بخط الشاعر زمن الدراسة ويقـول نعمان ان اعز مـا قلته من شعر يوجد في هذا الكراس •

• في شهر جانفي يقدم الاستاذ محمد الكامل التونسي للطبع كتابه (الاسلام الحق) وفيه يتعرض لقضايا الاسلام منذ القديم الحافز الى الحاضر ٠

والاستاذ محمد الكامل التونسي قد درس في سوريا عشرات السنين ٠ ومن تلاميذه سليمان العيسى والدكتور امجد الطرابلسي ونزار قباني وبدوي الجبل محمد سليمان الاحمد ومئات من الشعراء والادباء في سوريا اليوم

• الجوائز الأدبية في تونس

بلغنا أن عددا كبيرا من الادباء ـ بالنسبة للسنة الفارطة ـ تقدموا بآثارهم للمشاركة في الجوائز التي ترصدها بلدية تونس العاصمة لأحسن تأليف في القصة (جائزة علي البلهوان) وأحسن رواية سواء كانت مؤلفة أو مقتبسة أو مترجمة ٠

ولعل لجنة القراءات التابعة للجنة الثقافة والرياضة البلدية قد اجتمعت بعد ونأمل ان تنهي عملها في أقرب الآجال ٠

فمن سيفوز ـ بعد البشير خريف في قصته « برق الليل » بجائزة علي البلهوان لهذه السنة ياترى ؟٠٠

• جائزة « قونكور » و « رونودو »

فاز بجائزة « قونكور » هذه السنة الاديب « جان كو » عن قصته (حنان الاله) اما جائزة « رونودو » فقد اسندت الى الاستاذ « روجي بورديي » عن كتابه (القموح) ٠

والاديب « جان كو » الذي منحه اعضاء اكاديمية فرنسا جائزة « قونكور » لسنة 1961 هو من مواليد 8 جويلية 1895 ببلدة « برام » (اود) من عائلة لانقدوسية ، وقد زاول دراسته بكلية كاركاسون ثم بباريس في كلية « لوي لوقران » حيث قضى مدة في الدراسة قبل دخول دار المعلمين العليا ٠ ثم احرز على الاجازة في الفلسفة ٠ وهو مولع بمطالعة مؤلفات « جان بول صارتر » ويقول عنه انه يكنّ نحوه الاعجاب العميق للرجل والفيلسوف والكاتب معا ٠ وقد تعرف اليه فيما بعد وصار كاتبه ٠

ويؤكد « جان كو » انه كثير الولوع (بالبحث عن العلاقة الحقيقية بين الفن والادب والتطور الحالي للعالم) وينتقد بشدة المبالغة في التحليل خاصة في القصة ٠ وهو متأثر كثيرا بالقصاصين الامريكيين مثل « فولكنار » وفي الفن يهتم كثيرا بالرسم العصري ويرى فيه النجاح الكامل للنظريات الحالية ٠ وفي الموسيقى يسحره الجاز اما الموسيقى الكلاسيكية فتضجره ٠ وهو صحافي من محرري جريدة « لاكسبراس » وجلب الانتباه لاسمه ببحوثه العديدة واحاديثه القيمة ٠ وقد الف « جان كو » قبل قصته « حنان الاله » 5 قصص اخرى ٠

وقصة « حنان الاله » التي نشرها « قاليمار » في مجلد ضخم تقذف بالقارىء في نوع من الجحيم ٠٠٠ لا يمكن ان يكون الا صارتريا ٠٠٠ وتجري حوادثها بين جدران سجن ضم اربعة جناة اقترف كل منهم جريمة او جرائم عديدة ٠ وتعلو اصواتهم طول القصة وتمتزج احيانا بصوت خامس مجهول كانه هو

الشاهد على جميع اسباب الحنان وجميع اسباب الشقاء المجموعة كرها لكن بصورة فلسفية بين الجدران الاربعة ٠

اما الفائز بجائزة « رونودو » الاستاذ « روجي بورديي » فقد سبق ان اسندت اليه جائزة «قونكور»٠ ولد « روجي بورديي » ببلدة (بلوا) سنة 1923 من عائلة نازحة من مقاطعة « فال دولوار » وقضى طفولته وشبابه في وسط عمالي ٠ وسرعان ما ارغمته المصاعب المادية على الانقطاع عن مواصلة دروسه لمساعدة آبائه على العيش ٠ وهكذا صار يعمل بالنهار ويواصل دروسه بالليل٠ واهتم « روجي بورديي » في سن باكرة بدراسة الادب في القرن الثامن عشر ثم اقبل على التخصص في الآداب ٠

بدأ حياته كصحافي اقليمي وهكذا كان القائم بنقد الروايات والفنون ٠ ثم سكن باريس فكتب كثيرا ٠ ونشر عندئذ مجموعة شعرية دعاها «اللزوميات» ثم صار من اكبر محرري مجلة « فن العصر » ونشر سلسلة من الدراسات عن فن الرسم ٠ وفي سنة 1960 اصدر قصته الاولى التي اختار لها عنوان « الفصل الخامس »

ويعد « روجي بورديي » من رجال العمل البناء ــ بالمعنى الحقيقي ــ ممن ادركوا حاجات الحياة العصرية ونتائج تطبيق المبادىء العلمية بصفة مضبوطة ٠ فبطل قصته « لوران » لم يكتف في حياته المضطربة بما يمنحه اياه الحديد والاسمنت ٠ فقد كأن شخصه في حاجة للفوز بمسرات من انواع الطف وان كانت متضاربة احيانا ٠ فهو الرجل الجلي التفكير الغزير النشاط وهو الاسمنت واللحم ، وهو الحديد الصلب والفكر الشيطان ٠ ذلك هو عالم « لوران » المتضارب ، وعالم « روجي بورديي » كباطن هذه الشخصية الخرافية يبدو كله متناقضات : وجودية متزنة وعفة مثالية وقصيد الجهاد والشمس والقمح ، وبذلك يكون « روجي بورديي » اول من وفق للجمع بين العقلية التقليدية والتغني بالحركة الخيالية في العصر الحاضر ٠

- **افضل رواية في الهند لعام 1960**

تصف الرواية قرية بنغالية ، ومؤلفها روائي بنغالي شاب ٠ اما كاتب المقال فكاتب ومؤلف معروف ، وهو استاذ اللغة الانكليزية في احدى كليات بومباي٠

يصعب على الناقد ، في بلاد كالهند ، ان يختار ، اكثر كتب السنة اهمية ، اذ ما من احد يستطيع ، مهما كانت موهبته كبيرة في معرفة اللغات ، ان يزعم ان مهمته في مثل هذا الاختيار سهلة ــ حيث يواجه اكثر من عشر لغات حديثة في البلاد ذاتها ٠ اضف الى ذلك قلة الترجمات الجيدة في الهند ، من لغة قومية لاخرى ، او الى الانكليزية ٠ ثم ان المناسبات التي يلتقي فيها نقاد الهند في مختلف اقاليمها ، نادرة جدا٠لذلك جاء اختياري محدودا ببعض لغات اعرفها

وبينها الانكليزية والهندية والبنغالية • لم يلفت انتباهي ، عام 1960 اي اثر روائي هندي مكتوب بالانكليزية ، ولا يبدو ان اللغة الهندية اعطت هذه السنة اثرا ذا قيمة • لكن الامر ، بالنسبة للغة البنغالية ، مختلف فمن المعروف ان ادب هذه اللغة هو اغنى آداب الهند الحديثة ، ويمكن اعتبار احسن الكتاب في هذه اللغة ، احسن الكتاب في الهند كلها • ومهما يكن ، فالرواية البنغالية التي وقع اختياري عليها هي : « JAL PADEL PATA NADEY »

للروائي الشاب « غورغيشورغوز » « GOURKISHORE GHOSE »

واعتقد انها جديرة ان تترجم للغات الهندية الاخرى ، والى الانكليزية اذا امكن ذلك•اقول « اذا امكن » ، لان اسلوب الرواية بالغ الصعوبة في نقله الى الانكليزية

تواجهنا هذه الصعوبة بدءا من العنوان ذاته : الماء يسيل قطرة قطرة ، الورقة ترتعش مع ذلك يعكس هذا العنوان للقارىء البنغالي عددا كبيرا من الاشياء : الامطار الاولى تجلب ، كل سنة بعد الصيف الطويل اللاهب ، الحياة واللون للارض اليابسة ، وتجلب الطفولة والشعر • هذه الجمل كما يوضحها طاغور ، هي بالنسبة للاطفال البنغاليين ، مدخلا ، ليس الى سر الكلمات المكتوبة فحسب ، بل ايضا الى شعر اللغة وموسيقاها • وليس في قدرة اي ترجمة ان تنقل جملة هذه الايحاءات الا بفضل اشارات وملاحظات لا تنتهي •

لكن العنوان ليس استثناء ، فهذه الرواية التي تزيد على 350 صفحة ، مكتوبة بحساسية الفرح وغبطته ، خالية من البيانية وادعائية الشعر ، ان سحرها هو في بساطتها الكلية•الصور، الكلمات هي من الالفة بحيث جاء التعبير عنها هو ايضا اليفا بسيطا • كأن سر الرواية يعود الى مهارة المؤلف في تحويل الواقع الاليف الى نموذج اول ، وفي اعادته الى لغة مبتذلة ، طاقتها الاصلية كلها

من الصعب جدا تقدير دقة الاسلوب ولطافته في قراءة الترجمة • الرواية مؤلفة من عدة موضوعات ، لكل منها دلالته واهميته • هناك القرية البنغالية البائسة النائمة الفاصلة حيث الكوليرا الآهة خبيثة وفاتنة في الليالي الوحيدة ، حيث الغرفة التي يولد فيها طفل يجب ان تهدم لوقاية الام الشابة من العين الشريرة ويحلم الفلاحون ، بالحصاد ، صابرين قانعين ، على الرغم من ان الانتاج مرهون مسبقا ، ان العذاب والجوع دون أمل يوحد الناس والحيوانات والارض في يوصف •

هذا هو موضوع تطور الهند ، معروضا بنعومة ولباقة وسخرية محببة • نرى كيف يتضاءل تأثير الشيوخ ، وكيف ان سيارة النقل التي تمر في الطريق

الكبيرة تبعث الاضطراب في حياة المواطنين ٠ وكيف يكمن احساس خجول تحت اهداب الارامل الشابات والعبدات الهرمات قبل الاوان ٠ ونحضر انشقاق عائلة هندوسية قوية الاتحاد : انجهودها للحفاظ على المبادىء التقليدية تذهب سدى ٠ ليس هناك اى حق اعترف به ، ومع ذلك فعلى الاعضاء الاقوياء في العائلة ان يساعدوا اعضاءها الضعفاء ٠ ثم ان السياسة تسيطر على القرية ، فتتحرر العواطف المشتركة الاولى وبعض الشباب الغاضبين تجذبهم دوامة القومية الثورية

غير ان الموضوع الرئيسي في الرواية هو تقابل نوعين متغايرين من الرؤيا : رؤيا جد حكيم امضى شبابه في المدينة ثم عاد ليقيم في القرية ٠ وهو اذ يتمسك بذكرياته وتطلعاته الماضية ، يعيش في الصراع والتغير ٠ اما الرؤيا الثانية فتكمن في وجهة نظر حفيده الذي يكتشف العالم وعجائبه وشقاء الوضع الانساني ٠ بين وجهتي النظر هاتين ، يتكشف عالم قديم كوني كالروح الانسانية وهو في الوقت نفسه ، جديد ومحدود كقرية بنغالية حوالى 1920

كتبت هذه الرواية عام 1959 ونشرت عام 1960 لكن حوادثها تجرى بين 1922 ـ 1926 في السنوات التي تميزت بظهور غاندي في السياسة الهندية وبالصدمة التي ولدتها الثورة الروسية في مثقفي الهند لكن هذا لا يخفى عنا اكثر مظاهر الحياة الانسانية عمقا وتعقدا ٠ فهناك عدد كبير من اشخاص الرواية الذين لا ينسون ٠ مفتش البوليس الذي يختنق اضطرابا في مهده ، دون ضحايا ، والصديق الحميم لحائك سكير متصوف ، زوجته المجنونة التي تلتهب رغبة بانجاب طفل ، طبيب القرية الشاب الذي يغامر في مشاريع متهورة ، غير عابىء بالافلاس والعار ، زوجته الصغيرة الخجولة التي تحلم ان يكون لها بيت ، بعيدا عن عائلة زوجها ٠ ليس في الرواية ابطال او بطلات ، بالمعنى المتواضع عليه ، لكن ابطال هذه الرواية مشوقون جدا ٠

يبلغ غوركيشورغوز الثلاثين من العمر ٠ نشر مؤلفات عدة ، لكن هذه الرواية هي روايته الطويلة الاولى ٠ ولد في احدى مزارع الشاي ، ومارس اعمالا متنوعة ـ فأشتغل عاملا في فندق ، وعاملا كهربائيا وميكانيكيا في مطار ، وتاجرا متجولا ، ووكيلا للتامين ، ومديرا لغرفة بالية ٠٠٠ الخ الحياة بالنسبة له كوميديا واسعة ، ودور الفنانين فيها هو دور « المجنون » عند شكسبير ٠

عن : « أضواء »

الفهــــرست

السنــة السابعــة ـ العــدد ـ 4 ـ جـانفي 1962

الفكـر
مجـلة ثقافيـة

تصدر بتونس شهريا
مؤسسها ومديرها المسؤول
محمد مزالي

الادارة : 13 نهج دار الجلـد ـ تونس
تليفون : 778 260
الحساب الجاري : 33769 تونس
العنوان : صندوق البريد 556 تونس

• تصدر مجلة الفكر عشر مرات في السنة وتحتجب في شهري اوت وسبتمبر
• قيمة الاشتراك السنوي :
اشراك عادي في تونس دينار و 200م
اشتراك الانصار 3 دنانير
في المغرب وليبيا دينار ونصف
• الاشتراكات يرسـل معلومها في حوالة بريدية باسم المجلة او بصب في حسابها الجاري
• المراسلات تكون جميعا باسم : مدير مجلة الفكر صندوق البريد عـدد 556 تونس
• الرسائل لا ترد نشرت أم لم تنشر

EL FIKR - Revue Culturelle Mensuelle - 7e Année - N° 4 - Janvier 1962

طبع وحفر الشركة التونسية لفنون الرسم 20 نهج المالطيين ـ تونس

تـوزع هذه المجلة الشركة القـومية للنشر والتوزيـع